فـــارس غـــلوب

الصهيونية والنازية ، علاقات واتفاقيات

مقدمـــة

على الرغم من صدور عدد كبير من الكتب حول معاملة المانيا النازية البربرية لليهود الاوروبيين ، فان هناك جهلا عاما واسع الانتشار ، حول وجه مهم من اوجه هذه المسالة : العلاقة بين الحركة الصهيونية والمانيا النازية ٠

والمعلومات حول هذا الموضوع متوافرة ، ولكنها حتى الآن لم تجمع معا في دراســـة شاملة واحدة ٠ وهدف هذه الدراسة تصحيح هذا النقص ، جزئيا على الاقل ٠

وبالنظر الى الطبيعة الدقيقة لهذا الموضوع ، والى الميل الصهيوني الى وصم اية وجهـة نظر لا صهيونية أو مناهضة للصهيونية « باللاسامية » ، فقد اخذت جميع المواد حـــول العلاقات الصهيونية ـ النازية في هذه الدراسة من مصادر يهودية صرفة ٠ ويمثل الكتاب الذين استشهدت بهم نطاقا واسعا من الاراء ، من الصهيونية المتطرفة الى المناهضـــة للصهيونية ، مع ظلال مختلفة بينهما ٠ وهكذا يكون في مقدور القارىء ان يكون رايـــا صحيحا ، وموضوعيا ، على اساس الادلة التي يقدمها المؤرخون اليهود ٠

الموقف الصهيوني المبكر من اللاسامية

ان المعتقدات الاساسية للصهيونية هي ان اليهود يؤلفون « امة » منفصلة عن جميع الامم الاخرى ، وانه يجب « جمعهم » من مختلف اجزاء العالم في فلسطين ، ليؤلفـوا امتهـم ـ دولتهم الخاصة هناك ٠ وتدعي الظاهرة الاوروبية المسماة « اللاسامية » ان اليهود عنصر غريب لا يمكن استيعابه في المجتمع الاوروبي ، ويجب ازالته من اوروبا ٠

كان مؤسس الحركة الصهيونية السياسية ، تيودور هرتسل ، يعي الارضية الفلسفيـة المشتركة بين الصهيونية واللاسامية عندما قال : « ستكون حكومات جميع البلدان المبتلية

باللاسامية مهتمة اهتماما شديدا بمساعدتنا على تحقيق السيادة التي نريد » (١) · وكثيرا ما اكد هرتسل ، « بكل براءة ، ان اللاساميين سيكونون افضل اصدقاء اليهود والحكومات اللاسامية افضل حليفاتهم · الا ان هذا الايمان باللاسامية عبر بكثير من الفصاحة وحتى بصورة مؤتمرة عن مدى قرب حالته الذهنية من الحالة الذهنية لبيئته المعادية وعن انتمائه الحميم للعالم (الغريب) ···

كانت اللاسامية قوة غامرة وعلى اليهود اما ان يستخدموها او هي تبتلعهم · كانت اللاسامية ، بكلماته هو ، (قوة دافعة) مسؤولة عن جميع الام اليهود منذ تدمير الهيكل وستستمر في جعل اليهود يتألمون الى ان يتعلموا كيف يستخدمونها لفائدتهم · وفي ايد خبيرة ستثبت هذه (القوة الدافعة) انها العامل الاكثر فائدة في الحياة اليهودية · وستستخدم بالطريقة نفسها التي يستخدم بها الماء المغلي لانتاج الطاقة البخارية » (٢) ·

كان هرتسل رجلا يمارس ما يبشر به · وقد انسجمت الوسائل التي استخدمها في جهوده الدبلوماسية من اجل القضية الصهيونية مع المبادىء التي اعلنها · ويتضح هذا بشكل جلي من الاتصالات التي قام بها مع روسيا القيصرية ، التي كانت في بداية القرن الدولة التي طبقت السياسات المعادية لليهود الاكثر تعصبا ووحشية ، من مجازر وطرد وتمييز ·

ومع ان هرتسل لم يحقق ابدا حلمه بمقابلة القيصر ، فقد اجرى بالفعل محادثات مع وزير الداخلية القيصري فنزل فون بليفيه الذي كان مسؤولا عن تنفيذ اجراءات معادية لليهود ونظم مجازر مثل مذبحة كيشينيف ، التي قتل فيها ٤٥ يهوديا · كان بليفيه « من الوحشية بحيث اعترف بانه لم تكن لديه اعتراضات على التخلص من اكبر عدد ممكن من اليهود · وفي الواقع سيصبح مؤيدا (متعاطفا) مع الصهيونية · ثم اقترح هرتسل ان يكتب بليفيه له رسالة يقدمها امام المؤتمر الصهيوني ، تفيد ان بامكان الحركة الصهيونية ان تعتمد على (المساعدة المعنوية والمادية) للحكومة الروسية · وصارت رسالة بليفيه اثمن ما يملكه هرتسل · وكان يحملها معه في كل مكان · واراها للبابا · لقد صافحه قاتل شعبه وتحدث اليه بأدب · اليس هذا رائعا ؟ وبالنسبة الى بليفيه ، والى القيصر ، والى الجمهرة الكاملة من الحراس السود والرجعيين الذين يحكمون اوروبا ، كان لدى هرتسل وعد مفضل : ان الصهيونية ستحل جميع العناصر الثورية والاشتراكية بين اليهود » (٣) ·

وفي ١٩٠٣ قابل مؤسس الحركة الصهيونية في سانت بيترزبرغ زعيما لاساميا آخر ، هو وزير المالية القيصري الكونت فيته ، الذي كان هو الآخر يفضل الخطة الصهيونية لاخراج اليهود من اوروبا · قال فيته لهرتسل : « لو كان من الممكن اغراق ستة او سبعة ملايين يهودي في البحر الاسود ، لاسعدني تماما ان افعل ذلك ، ولكن ذلك غير ممكن ، ولذا يتوجب علينا ان ندعهم يعيشون · ولكننا نشجع اليهود على المهجرة · اننا نطردهم » (٤) ·

ان اهم الاسس التي وضعها هرتسل من أجل نجاح الصهيونية في المستقبل كانت الحلقات اللاسامية في بريطانيا · كان عدد لا يستهان به من اليهود الروس الفارين من المذابح القيصرية قد اختاروا بريطانيا بدلا من فلسطين كملجأ لهم ، مخيبين بذلك الآمال الصهيونية · غير ان الصهاينة وجدوا ان عددا من السياسيين اليمنيين المتطرفين في

بريطانيا كانوا مستعدين كل الاستعداد لاثارة حملة شنعاء تهدف الى حرمان هـــؤلاء اللاجئين السيئي الطالع من حق اللجوء ٠

ومنح هرتسل هؤلاء اليمينيين بركته وتشجيعه ، وفي شهادته « للجنة الملكية حـــول هجرة الاجانب » ، التي حققت في المسألة في ١٩٠٢ و ١٩٠٣ ، دعا هرتسل الى تحويـــل نهر الهجرة عن بريطانيا ٠ وهكذا اتفق في الرأي مع العنصري إرنولد وايت ، احد ابرز منظري الحملة من اجل منع اليهود من دخول بريطانيا (٥) ٠

كان احد الزعماء البارزين لهذه الحملة الذين اقام هرتسل معهم صلات ودية هو وزير المستعمرات جوزف شامبرلين ٠ ففي خطاب في لايمهاوس بلنـــــدن ، في كانـون الاول (ديسمبر) ١٩٠٤ ، هاجم شامبرلين سياسة السماح للهجرة اليهودية الـــى بريطانيا ، مؤيدا في الوقت ذاته الفكرة الصهيونية لدولة يهودية وممتدحا هرتسل بحرارة (٦) ٠

كان اهم لاسامي بريطاني في ذلك العصر ، من حيث الخدمات التي اسداها بالنتيجـة الى الصهيونية ، هو السياسي المتعصب في هجماته المتكررة على اليهود اللورد آرثور بلفور ٠ وفي نقاش برلماني حول قضية الهجرة ، القى بلفور خطابا طرح فيه قضية مألوفة جدا للاسامية ٠ فقد اعلن قائلا : « لن يكون لمصلحة مدنية البلد ان تكون هناك مجموعـة ضخمة من الاشخاص الذين ، بافعالهم الخاصة ، يبقون شعبا منفصلا ، ولا يعتنقون دينا مختلفا عن الاكثرية الساحقة من مواطنيهم فحسب ، ولكنهم ايضا لا يتزاوجون الا فيمـــا بينهـم » (٧) ٠

كان باستطاعة هرتسل ان يعلن بارتياح ان « اللاسامية قد نمت وتستمر في النمو ، وانا ايضا انمو » (٨) ٠ الا ان ثمار دبلوماسيته لم تنضج خـلال حياته ٠ وبعد عشـــرة اعوام من موته ، اثبتت الحرب العالمية الاولى انها نقطة تحول في حظوظ الصهيونية ، اذ اعتزم الحلفاء الغربيون ان يقسموا الامبراطورية العثمانية ، التي كانت تقاتل الى جانب المانيا ٠ وكانت فلسطين آنذاك تحت السيطرة العثمانية ٠

انتهج الصهاينة سياسة المراهنة على كلا الجانبين في العامين الاولين مـن الحرب ٠ وكان المقر الرئيسي للمنظمة الصهيونية العالمية لا يزال في برلين ، وواصل زعماؤهـــا هناك الجهود لتشكيل تحالف مع المانيا ٠ وفي الوقت ذاته قام حاييم وايزمـان ، رئيس الاتحاد الصهيوني البريطاني آنذاك ، بجهود مماثلة من اجل تحالف مع بريطانيا ٠ قـام وايزمان بحملة ذكية ونشطة ، مركزا على كسب تأييد سياسيين رجعيين امثال بلفور ، والورد روبرت سيسيل ، ورئيس الوزراء لويد جورج ، والى جانب الحجة القائلة بـان الصهيونية هي طريقة ملائمة لتخليص اوروبا من يهودها ، استخدم وايزمان كذلك الحجة الامبريالية القائلة بان « فلسطين يهودية ستكون دولة واقية لانكلترا خصوصا فيما يتعلق بقناة السويس » (٩) ٠

وكان « اعلان بلفور » الصادر في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ نتيجـة لهذه الجهود الدبلوماسية ٠ وهكذا كان الدافع لهذه الشرعة الاولى من اجل « وطـــن قومي » صهيوني هو مزيج من المطامح الامبريالية والتحيزات اللاساميـــة من جانـب السياسيين اليمينيين الذين اصدروها ٠ وجدير بالملاحظة ان المعارضة القوية لها ضمـــن الحكومة البريطانية جاءت من عضوها اليهودي الوحيد ،السير ادوين مونتاغو ، الـذي ادرك بوضوح الدوافع اللاسامية وراء سياسة بلفور ولويد جورج ٠ وكتب مونتاغو يقول :

« انا اؤكد انه ليست هناك امة يهودية ٠٠٠ عندما يقال لليهود ان فلسطين هي وطنهم القومي ، فان كل بلد سيرغب فورا في التخلص من مواطنيه اليهود ، وستجدون سكانا في فلسطين يطردون سكانها الحاليين ، آخذين كل ما هو الافضل في البلاد » (١٠) ٠

كانت تكهنات مونتاغو صائبة ودقيقة جدا ٠ وشهدت الاعوام اللاحقة لوعد بلفور ازدياد اللاسامية الخبيثة في اوروبا ، وبلغت اوجها في مذابح هتلر ٠ وتبع ذلك تشريد شعب فلسطين ٠ وكما سيصير واضحا فيما بعد ، كان الحدثان مترابطين بصورة وثيقة ٠

II الخلفية المشتركة بين الصهيونية والنازية

عنى تولي هتلر للسلطة في المانيا ، في الثلاثين من كانون الثاني (يناير) ١٩٣٣ ، ان اللاسامية صارت السياسة الرسمية للحكومة الالمانية ٠ ورافق هذا الحدث ازدياد حدة السياسات المضايقة لليهود التي تميزت بها النازية ٠

« في كانون الثاني ١٩٣٣ ، صار الزعماء النازيون ، الذين طالما اعتبرهم الاشخاص المفكرون عصبة من الديماغوجيين الجهلة والمنحرفين ، فجأة ، رؤساء محترمين لحكومة عظيمة ٠ الا ان وضعهم فقط هو الذي تغير ٠ فصفاتهم ووسائلهم بقيت كما هي ، وكان على يهود المانيا انيتكبدوا نتائج حملة الكراهية الديماغوجية التيطالما شنت ضدهم»(١١)٠

وكان في مقدور النازيين ، المتسلحين بالجهاز الكامل للحكومة ، ان يشنوا حملة ارهابية فعالة ٠ وقد وصفها شاهد يهودي على النحو التالي :

« كان علي ان اصغي الى صرخات «Jude Verreche» الصادرة عن العصابات المنظمة للمتظاهرين السائرين عبر منزلي ٠ ويوميا كانت هناك هجمات على الناس وحوادث خطف ، اسوأ انواع المعاملةلاشخاص من معارفي الذين اعرف انهم يحملون اراء ديموقراطية او اشتراكية ، او لمجرد انهم كانوا يهود ٠٠٠ عندما غادرت برلين قبل ذلك ببضعة ايام كان لدي الشعور بانني اعيش في وضع مذبحة مستمرة ومتواصلة اسوأ من تلك التي حدثت ذات مرة في روسيا لان المذبحة هناك ابتدأت وانتهت في وقت محدد ٠ في هذا الوقت تكون قد سمعت على الارجح بالمذبحة الرهيبة في كونيغزبرغ ٠٠٠ ان اقرباء اليهود الذين هوجموا وجرحوا لم يجرؤوا حتى على اخذ الضحايا المساكين الى المستشفيات في كونيغزبرغ ، بل كان عليهم ان ينقلوهم الى برلين واستسلم الكثيرون منهم لجراحهم خلال نقلهم الى برلين » (١٢) ٠

ورافقت تنظيم السفاحين اجراءات ادارية لفصل اليهود عن بقية المجتمع الالماني :

« في الثامن من نيسان (ابريل) وافق مجلس الوزراء على (قانون الخدمة المدنية) الجديد ، واعلنه الدكتور فريك ، وزير داخلية الرايخ ٠ ومنع القانون جميع اللاآريين (باستثناء الذين قاتلوا في الجبهة او خسروا ابا او ابنا في الحرب العالمية) من اي مركز في الخدمة المدنية الاتحادية او التابعة للولاية او البلدية ٠٠٠ (١٢ نيسان) اليهود المقبولون في الكليات او الجامعات لا يمكن ان يكونوا اعضاء في الجسم الطلابي ٠ وفي اليوم ذاته منعت الحكومة المحررين السياسيين اليهود من حضور مؤتمراتها الصحافية ٠٠ في العشرين من اذار (مارس) ، اعلن مكتب المحاكم الرسمي تطهير مكاتب المدعين العامين في جميع انحاء المانيا ، وابعاد القضاة اليهود من المحاكم الجنائية الى المحاكم المدنية ٠

ولكن بحلول الثلاثين من اذار ، حدث تغير في الموقف ، وابعد جميع المحامين والقضاة اليهود ٠

وفي بروسيا ، في الحادي والثلاثين من اذار ، طلب الدايت (البرلمان) من وزير التربية صرف جميع المعلمين اليهود وتحديد عدد الطلبة اليهود ـ لا في الجامعات فحسب ، بل ايضا في المدارس ذات المستوى الادنى بواحد في المئة ٠ (في ميونيخ) ذهب مراقب المدارس الى ابعد من ذلك فأعلن انه « في الفصل التالي ، لن يسمح لاي اولاد يهود بدخول المدارس المسيحية ، كما لن يسمح لاطباء المدارس اليهود بمعالجة اولاد المسيحيين » (١٣) ٠

يتضح التأثير المدمر لمثل هذا التمييز في هذه الرسالة من الوكالة التلغرافية اليهودية:

« ان صفوف الخبز اليهودية تتضاعف بين ليلة وضحاها ، ويقفز عدد العاجزين من ثلاثين الفا الى ثمانين الفا في أقل من اسبوع ٠٠٠ ومعظم هؤلاء هم اناس مفلسون من الطبقة الوسطى ، اصحاب حوانيت وعمال ياقة بيضاء واصحاب مهن اجبروا على التخلي عن سبل عيشهم بسبب الاجراءات اللاسامية » (١٤) ٠

وهكذا ، ثبت حقد النازية الاثيم ، بصورة لا تقبل اي شك ، منذ اللحظة التي وصلت فيها الى الحكم ٠ ماذا كان القصد من مثل هذه الاجراءات ؟ حسبما قال احد الخبراء القانونيين اليهود البارزين : « كانت النتيجة الحتمية لحملة الصرف والابعاد بالقانون والعنف والاساءة والحرمان من حماية القانون ضد اليهود والليبراليين ، هي خروج عدد كبير من اليهود واللاآريين والليبراليين من المانيا » (١٥) ٠

كيف كانت ردة الفعل الصهيونية للاجراءات النازية الوحشية ؟ كانت الحركة الصهيونية تعتقد ، بالنتيجة ، ان اليهود يجب الا يكونوا جزءا من مجتمع غير اليهود ٠ وهذه الحقيقة تفسر لماذا ادى صعود النازية الى قوة متزايدة الى حد كبير للصهيونية بين اليهود والالمان٠ كما انها تفسر لماذا استطاع نازي متعصب مثل ادولف ايخمان ان يكون على علاقات ودية مع الصهاينة ، وحتى ان يصف نفسه كموال للصهيونية ، فيما يبقىمكرسا للايديولوجيا النازية ٠

« لم يكن ايخمان بحال من الاحوال وحيدا في اتخاذه هذه المولاة للصهيونية على محمل الجد ٠ فاليهود الالمان اعتقدوا انه سيكون كافيا لابطال (الاستيعاب) عن طريق عملية جديدة (لعدم الاستيعاب) وتدفقوا الى صفوف الحركة الصهيونية ٠ (ليست ثمة احصاءات موثوقة حول هذا التطور ، ولكن يقدر ان توزيع الصحيفة الاسبوعية الصهيونية « دي يوديشه روندشاو » ازداد ، في الاشهر الاولى من نظام هتلر ، من ٥ ـ ٧ الاف على وجه التقريب الى نحو ٤٠ الفا ، ومعروف ان منظمات جباية الاموال الصهيونية تلقت في ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ ، من سكان نقص عددهم وافتقروا الى حد كبير ، ثلاثة اضعاف ما تلقته في ١٩٣١ ـ ١٩٣٢) ٠ ولم يعن هذا بالضرورة ان اليهود رغبوا في الهجرة الى فلسطين ٠ بل كانت بالاحرى مسألة كبرياء : (علقوا النجمة الصفراء باعتزاز) ، وهو الشعار الاكثر شعبية لتلك الاعوام ، وقد صاغه روبرت فيلتش رئيس تحرير دي يوديشه روندشاو ، وعبر عن الجو العاطفي العام ٠ وكانت النقطة الجدلية للشعار ، الذي صيغ كرد على (يوم المقاطعة) ، الاول من نيسان (ابريل) ١٩٣٣ ستة اعوام قبل ان يجبر النازيون اليهود على تعليق شارة ، هي نجمة صفراء مسدسة الزوايا على

ارضية بيضاء ـ موجهة ضد (دعاة الاستيعاب) ، وجميع الذين رفضوا القبـــول (بالتطور الثوري) الجديد ، والذين (كانوا دوما متخلفين عن الازمنة) » (١٦) ٠

ومما لا ريب فيه ان الصهيونية افادت من حقيقة ان صعود هتلر ادى الى سحـــق المنافسين الرئيسيين للقيادة الايديولوجية لليهود الالمان ، « في تلك الاعوام كانت حقيقة من حقائق الحياة اليومية ان الصهاينة وحدهم كانت لهم فرصة للتفاوض مع السلطـــات الالمانية ، وذلك لسبب بسيط هو ان الخصم اليهودي الرئيسي ، (الرابطـــة المركزيـــة للمواطنين الالمان ذوي الديانة اليهودية) ، التي ينتمي اليها ٩٥ بالمئة من اليهود المنظميـن في المانيا آنذاك ، حددت في قوانينها الداخلية ان مهمتها الرئيسية هي (القتال ضـــد اللاسامية) ٠ وصارت فجأة منظمة (معادية للدولة) ٠٠٠ خلال الاعوام الاولى ، بـدا صعود هتلر الى السلطة ، لليهود ، على انه ، بصورة رئيسية ، (الهزيمة الحاسمـــة للاستيعاب) ٠ ومن هنا استطاع الصهاينة ، لفترة من الوقت على الاقل ، القيام بمقدار مـــا من التعاون غير الاجرامي مع السلطات النازية ٠ واعتقد الصهاينة كذلك ان (عدم الاستيعاب) ، مع هجرة الشبيبة اليهودية ، والرأسماليين اليهود كما رجوا ، الى فلسطين يمكن ان يكون (حلا عادلا بصورة متبادلة) ٠ وفي ذلك الوقت كان الكثيرون من الرسميين الالمان يحملون هذاالرأي » (١٧) ٠

هذا التعاون « غير الاجرامي » بين النازية والصهيونية في الاعوام الاولى اثبت فـــي الواقع انه الطرف الرفيع للاسفين ، وفي وقت لاحق فتح الباب امام تعاون اوسع واكثـــر خطورة بكثير تضاءلت « لا اجراميته » اكثر فاكثر فيما تطورت السياسة النازية ٠ وحتى قبل ان يصير هتلر مستشارا كانت المصالح المشتركة بين الصهيونية والنازية قد امتدت الى ما وراء مبدأ عدم استيعاب اليهود ووصلت الى حد التأييد النازي لنقطة مركزية في البرنامج الصهيوني : هجرة اليهود الى فلسطين ٠ وهكذا منذ العشرين من حزيران (يوليو) ١٩٣٢ « سار ٣٠٠ نازي عبر شوارع بريزلاو وارهبوا المارة اليهود ، صارخين (ليذهب اليهود الى فلسطين » (١٨) ٠

وحصلت سياسة تشجيع اليهود على الهجرة الى فلسطين على بركة هتلر نفسه ٠ ومـع انه في وقت سابق ، عندما كتب « كفاحي » ، لم يكن يعتقد بان الصهاينة يعتزمون فعلا تأسيس دولة ، فانه ما ان جاء الى السلطة حتى راجع رأيه فيهم واخذهم اكثر على محمل الجـد ٠

« كان الصهاينة بالتحديد هم الذين اظهروا انفسهم مستعدين لـ (تحرير المانيا مـــن يهودها) ٠ وبما ان هذا الهدف كانت له الاسبقية على جميع الاهداف الاخرى ، فـــان هتلر قبل ، بما عرف عنه من براغماتية ، بحل وسط لتعاليمه هو المذهبية ٠

وكان الاستنتاج الذي تم التوصل اليه في فلهلمشتراسة هو ان الاهداف التي وضعتها لنفسها هذه الفئة (من اليهود الذين يعارضون الاستيعاب ويؤيدون اعادة تجميع ابناء ملتهم في وطن قومي) ، وفي طليعة صفوفهم الصهاينة ، هي تلك التي تنحرف بأقل قدر عن الاهداف التي تنتهجها السياسة الالمانية في الواقع فيمـا يتعلق باليهود ٠

وكان اليهود الوحيدون الذين اقامت معهم مختلف اجهزة الرايخ الثالث ، ولا سيمـــا وزارتا الشؤون الخارجية والاقتصاد ، علاقات عملية حقيقية ، في التحليـــل الاخيـــر وبالنتيجة هم الصهاينة ويهود فلسطين » (١٩) ٠

III اتفاقيات هعفراه

ما لبثت العلاقة بين الصهيونية والنازية ان اتخذت شكلا رسميا في اتفاقية ، هي الاولى في سلسلة اتفاقيات ٠

« اعطى اليهود المهاجرون الى فلسطين فرصة خاصة لنقل رؤوس اموالهم عن طريق ما سمي اتفاقية هعفراه [بالعبرية : نقل ، تحويل] وتم التوصل الى هذه الاتفاقية بين الرايخ الالماني والوكالة اليهودية لفلسطين ٠ كانت من حيث الشكل ترتيب مقاصة معدلا ٠ وبموجب شروطها يسمح (للرأسمالي) اليهودي الذي يريد الهجرة الى فلسطين ان يجري اتصالا مع مصدر الماني لنقل السلع من المانيا الى فلسطين ٠ ويدفع للمصدر اليهودي بأموال مسحوبة من حساب مجمد لليهود المهاجرين ٠ ويتلقى المهاجر عملته الفلسطينية من الوكالة اليهودية لدى وصوله الى فلسطين ٠

وكانت الوكالة اليهودية والمصدرون راضين عن هذا الترتيب تماما كالمهاجرين انفسهم٠ وتدفقت السلع الالمانية على فلسطين ، وبعد فترة من الوقت الحقت باتفاقية مقاصة هعفراه اتفاقية مقايضة تتعلق بمبادلة البرتقال الفلسطيني بالخشب وورق اللف والسيارات ، والمضخات والات الزراعة الالمانية وغيرها ٠ وبدا كأن العلاقات الاقتصادية بين المانيا النازية والجالية اليهودية في فلسطين كانت ممتازة » (٢٠) ٠

ربما كانت الابحاث الاكثر اجتهادا التي تمت حتى الآن حول اتفاقيات هعفراه هي تلك التي قام بها الياهو بن ـ اليسار ٠ انه دكتور في العلوم السياسية ، وموظف كبير سابق في رئاسة الدولة الاسرائيلية ، فضلا عن كونه احد كبار اعضاء ليكود ، وهو مؤهل جدا ليكتب حول الموضوع ٠ لقد اكتشف ان اول اتصال تم مع المانيا في نيسان (ابريل) ١٩٣٣ وقام به سام كوهين ، مدير شركة هنوطياع ، ووقع كوهين صفقة تساوي مليون مارك ، زيدت فيما بعد الى ٣ ملايين ٠

« ان الاشخاص المسؤولين عن المانيا في المنظمة الصهيونية العالمية ، والذين لا يعارضون بأي حال مبدأ مثل هذه الاتفاقية ، لم يشعروا بأية حماسة لرؤيتها تتم هكذا مع شركة كانت في الواقع خاصة وذات نطاق محدود ٠ وشكوا في ما اذا كان لدى هنوطياع ما يكفي من الوسائل المالية لتؤمن في هذه الحالة الخاصة العمل الجيد لعملية ترجح اهميتها السياسية على مصلحتها التجارية الصرفة ٠

ولذا شرع فيرنر سيناتور ، من الاتحاد الصهيوني لالمانيا ، وجورج لاندور ، من الوكالة اليهودية ، في المفاوضات مع وزيري الشؤون الخارجية والاقتصاد ٠٠٠

وبادر الالمان ، الذين تشير جميع الادلة الى انهم كانوا متشوقين للتوصل الى نتيجة سريعة ، الى الدعوة الى مؤتمر يشترك فيه جميع اليهود المعنيين ٠ وافتتح المؤتمر في السابع من آب (اغسطس) ، في مكاتب وزارة الاقتصاد ٠ وكان من الجانب اليهودي : كوهين وماكنس اللذان مثلا هنوطياع ، وموفدون من الاتحاد الصهيوني لالمانيا وشخصيتان جاءتا من فلسطين خصيصا لهذه الغاية وهما هوفين مدير المصرف البريطاني ـ الفلسطيني الذي ترتبط مصالحه ارتباطا وثيقا بمصالح المنظمة الصهيونية [وارثور] روبين وهو سوسيولوجي واخصائي كبير في مسائل الاستيطان اليهودي في فلسطين ٠

كانتشروط الاتفاقية التي توصل اليها المؤتمر كما يلي : وافق سام كوهين على اعتبار

جميع الاتفاقيات السابقة للسابع من آب ملغاة · وسيصار الى تأسيس مصرف تجاري يديره هوفين ويكون تحت اشراف المصرف البريطاني ـ الفلسطيني · وتكون مهمته ادارة المصالح اليهودية والتفاوض مع المصدرين والصناعيين الالمان · وبقي مجموع العمليات التجارية محددا بثلاثة ملايين مارك الماني ، مع احتمال التجديد ···

وعرفت الاتفاقية والعمليات كلها باسم هعفراه وهي كلمة عبرية تعني النقل ـ وستكون السبب الاجتماعي للمصرف التجاري (مكتب امانات ونقل ـ هعفراه) ومقره الرئيسي في فلسطين · اما الشركة التي ستؤسس خصيصا لتمثيله في برلين ، فستسمى بالترو ·

وفي الحادي والعشرين من آب ١٩٣٣ افتتح في براغ المؤتمر الصهيوني الثامن عشر ، وهو اول مؤتمر يجتمع منذ ان جاء هتلر الى الحكم · وكان من الطبيعي ان يكون وضع اليهود في المانيا الموضوع الرئيسي الذي ينظر فيه المؤتمر ويبحثه · وجاء هوفين وروبن رأسا من برلين الى براغ · وانب عدد كبير من الموفدين هوفين وروبين لكونهما تعاملا مع الشيطان وقوضا ، عن طريق اتفاقية هعفراه ، نضال اليهود ضد السياسة العنصرية للرايخ · وتم تبادل كلام محموم · الا ان المؤتمر لم يتبنى اقتراحا لاشتراك المنظمة الفعلي في الجهود لمقاطعة المانيا » (٢١) ·

جاءت جهود الحلقات اليهودية المناهضة للنازية لتنظيم مقاطعة لالمانيا النازية كاجراء مضاد للمقاطعة التي نظمتها السلطات النازية في الاول من نيسان (ابريل) ١٩٣٣ · كانت هذه « مقاطعة عامة ··· لجميع الاماكن والاعمال التجارية اليهودية ولجميع الاطباء والمحامين وغيرهم من اصحاب المهن اليهود الاخرين · ومنذ ذلك اليوم ، وللاعوام الستة والنصف التالية ، كانت هناك سلسلة متعاقبة من الاعمال الوحشية المتزايدة الى ان حملت الحرب مرحلة من البربرية التي لا مثيل لها · كانت المقاطعة مجرد تمهيد لنظام اضطهاد سلب اليهود جميع مصادر الرزق » (٢٢) ·

كان اليهود في الكثير من اجزاء العالم يأملون بانهم اذ يردون بمقاطعة السلع الالمانية يستطيعون ان يظهروا تضامنهم مع ابناء ملتهم المضطهدين وربما يضغطون على النظام النازي لتخفيف الاضطهاد · الا ان توقيع الصهاينة لاتفاقية هعفراه نسف هذا الامل بصورة فعالة و « كانت النتيجة انه في الثلاثينات ، عندما قام اليهود الاميركيون بجهود كبيرة لتنظيم مقاطعة البضائع الالمانية ، اغرقت فلسطين ، بين كل الاماكن ، بجميع انواع السلع (المصنوعة في المانيا) · » (٢٣) ·

كانت الحركة الصهيونية ، قبل المؤتمر الصهيوني الثامن عشر بوقت طويل ، قد اوضحت نيتها نسف المقاطعة المناهضة للنازية · وذهب الاتحاد الصهيوني لالمانيا الى حد تطمين احد كبار الرسميين النازيين بان « الدعوات التي تدعو الى مقاطعة المانيا ، بالطريقة التي كثيرا ما تجري بها اليوم ، هي في عين طبيعتها لا صهيونية تماما » (٢٤)·

وهكذا خلقت السابقة المؤسفة للتضحية بمصالح الجماهير اليهودية في اوروبا من اجل المطامح السياسية الصهيونية · وقد ادرك النازيون فائدة هذه السابقة ·

في التوقيع على ··· اتفاقية هعفراه ، كانت السلطات الالمانية تسعى الى هدفين في آن معا : خرق المقاطعة التي نظمها اليهود ضد المانيا في البلدان الاجنبية المختلفة وتسهيل رحيل اليهود من الرايخ الى فلسطين ·

ولكن شيئا فشيئا صار الهدف الثاني يعتبر هو الاهم في برلين · فمن جهة ، تم اضعاف تاثير المقاطعة اليهودية الى حد كبير ، ومن جهة اخرى اضحى ترحيل اليهود احد الاهداف الرئيسية للسياسة الداخلية التي ينتهجها النظام الاشتراكي الوطني · وكان الصهاينة هم الوحيدون ، بين اليهود وغير اليهود ، الذين اقترحوا حلا عمليا للمشكلة اليهودية في المانيا ، وفوق كل شيء وضعوه موضع التنفيذ · وزودتهم اتفاقية هعفراه بالوسيلة لفعل ذلك · ولم يكن باستطاعة الحكومة الالمانية ان تبقى لا مبالية تجاه ذلك · وهكذا رأى المرء وزارتي الداخلية والاقتصاد تتنافسان في آن معا احداهما مع الاخرى لتثبيت اتفاقية هعفراه وتنمية نشاطات المنظمة الصهيونية في المانيا ·

وهكذا اكتسبت اجهزة هعفراه تدريجيا مركزا مسيطرا وحتى ممتازا في التجارة الالمانية ـ الفلسطينية ··· وتحت الحاح الزعماء الصهاينة في المانيا ، قرر المؤتمر الصهيوني التاسع عشر ، الذي اجتمع في لوسيرن من العشرين من آب (اغسطس) الى الثالث من ايلول (سبتمبر) ١٩٣٥ ، ان يضع نظام هعفراه كله تحت الاشراف المباشر للجنة التنفيذية الصهيونية التي نقلت اليها بالتالي الاسهم التي كان يملكها المصرف البريطاني ـ الفلسطيني · في ١٩٣٣ بلغت عمليات النقل التي حققتها هعفراه ٩٥٦ر٢٥٤ر١ مارك · وفي ١٩٣٧ بلغت قيمة ٥٠١ر٤٠٧ر٣١ مارك » (٢٥) ·

بعيد المؤتمر الصهيوني التاسع عشر ، في الخامس عشر من ايلول ١٩٣٥ ، صادق النظام النازي على قوانين نورنبيرغ ، التي وصفها جيرالد ريتلنغر بحق بانها الاداة التشريعية الاكثر فتكا التي عرفها التاريخ الاوروبي · « كانت صفة قوانين نورنبيرغ ذات شقين · كان هناك اولا قانون مواطنية الرايخ الذي ثبت درجتين ، الرايخسبرغر Reichs Bürger الذي يجب ان يكون ذا دم المانـي نقي ، ، والستاتسانهوريغر Staatsanhoriger الذي هو من رعايا الدولة ولكنه ليس مواطنا · وكان (القانون من اجل حماية الدم والشرف الالمانيين) متمما ، اذ انه اضاف المبدأ القائل بان الاثنين يجب الا يتعايشا معا في الزواج او خارج الزواج » (٢٦) ·

لقد لاحظنا ان إتفاقيات هعفراه بلغت مستوى قياسيا في ١٩٣٧ ، بعد سنتين من المصادقة على قوانين نورنبيرغ ، لذا من الواضح ان الصهاينة لم يسمحوا لها بان تصير عقبة للتعاون المربح ·والامر الداعي الى السخرية هو ان الامتيازات التي كانت الحركة الصهيونية تكسبها منذ ان جاء هتلر الى الحكم ازدادت بالفعل مع قوانين نورنبيرغ ، في حين استمر وضع اليهود الالمان في التقهقر ·

« سمح للمنظمة الصهيونية ان تفتح مراكز تدريب مهني وزراعي للمرشحين الى الهجرة الذين يرغبون في اعداد انفسهم لحياة جديدة في الشرق الاوسط · وتم تنظيم صفوف في اللغة العبرية في عدة بلدات ، وتحت ادارة رجل ذي قيمة عظيمة ، هو روبرت فيلتش ، حملت صحيفة صهيونية ، هي «دي يوديشه روندشاو» ، الامل بحياة افضل للالوف من البيوت اليهودية · وسمحت وزارة الداخلية لوفد من الصهاينة الالمان بالاشتراك في المؤتمر الصهيوني التاسع عشر ·

وعلى الرغم من القرار الذي اتخذ في التاسع عشر من كانون اول (ديسمبر) ١٩٣٤ لمنع اعضاء حركات الشبيبة اليهودية من ارتداء بزاتهم التقليدية ، فان الشرطة السياسية لبافاريا ، التي كانت في ذلك الحين حكرا حقيقيا على هيملر وهايدريتش ، سمحت في

الثالث عشر من نيسان (ابريل) ١٩٣٥ ، كحالة استثنائية ، لاعضاء احدى هـــذه الحركات بارتداء البزات لانه (ثبت ان « صهاينة الدولة » هم بالضبط هؤلاء الذين تحاول منظمتهم بكل الوسائل ، حتى بالطرق اللا قانونية ، ان ترسل اعضاءها الى فلسطين) ٠

والفريد روزنبرغ نفسه ، في مقابلة منحها في الثالث من أيار (مايو) ١٩٣٥ لريمون كارتييه من « ليكو دي باري » ، **اعترف بحسنات** الصهيونية لانها تعارض استيعـــاب اليهـود ٠

واحد قانوني نورنبيرغ ، وهو المتعلق (بحماية الدم والشرف الالمانيين) ، والذي منع اليهود من رفع العلم الوطني مع الصليب ، سمح لهم مع هذا باظهار (الالوان اليهودية) التي لم تكن غير الازرق والابيض للعلم الصهيوني المطبوع بنجمة داود » (٢٧) ٠

يجب ان ينظر الى التعاون الصهيوني مع المانيا النازية كذلك في ضوء تلويث النازية للبلدان الاخرى في اوروبا ، **وبخاصة بولندا** ورومانيا ، بفيروس العنصرية خـــلال الثلاثينات ٠ وامتدت الام اليهود **الالمان** لتشمل الآخرين بسرعة ، كما هو واضح من هذه الرواية **المعاصرة** :

« ان الحملة القاسية للاسامية المنظمة ، وامتناع الحكومات عن الاهتمام بالمشكلـــة اليهودية بطريقة ايجابية وبناءة ، كانت قد انتجت تأثيرات بعيدة المـــدى على اليهود ٠ واكثر ما تكون هذه التأثيرات وضوحا في حالة الذعر واليأس التي صارت تسيطر على اليهود ، وبخاصة يهود بولندا ورومانيا . وفي فصل وعزل الناس القليلي الحظ في عدد من البلدان ، وفي افقار جماهير كبيرة من اليهود ، وفي الانخفاض النسبي ، وان لم يكن المطلق ، للسكان اليهود ٠

الرعب يسيطر على يهود اوروبا الشرقية الوسطى ٠ كانوا ضحايا حملة سامة مـــن الكراهية والظلم ، خصوصا منذ مجيء النازيين الى الحكم في المانيا ، بحيث انهم فـــي حالة قلق مزمن ، ودائمو الخوف مما قد يحمله الغد ٠٠٠

يصار الى فصل اليهود اجتماعيا ٠ وتميل استضافة الفرص الاقتصادية الى عـــزل اليهودي ٠ ولكن الامر الاكثر جدارة بالملاحظة ، من الناحيتين المعنوية والنفسية ، هـــي تأثيرات الفصل في النطاق الاجتماعي ٠ وعلى سؤال حول ما اذا كان لا يزال لديهـــم اصدقاء غير يهود ، اجاب يهود دانزيغ بحزن : (ان الذين كانت تربطهم بنا صداقة العمر من غير اليهود لا يجرؤون ان يتعاطوا معنا) ، واخبروا بالم ظاهر كيف ان اترابهم في المدرسة ، وزملاءهم ، واصدقاءهم يتجاهلونهم في الشوارع ٠ وتذكروا ، بامتنان مؤثر، اعتذارا قدمه مسيحي كريم خلسة ومن حين لآخر » (٢٨) ٠

لكن الزعماء الصهاينة ، بدل ان يحاولوا مقاومة هذه الحالة ، اعتبروا الام هـــؤلاء اليهود شيئا يمكن ان يجنوا منه ثمارا سياسية مفيدة ٠ « اجتمع المؤتمر الصهيونـــي العشرون في الواقع في زوريخ من الثالث الى السابع عشر من آب (اغسطس) ١٩٣٧ لبحث خطة تقسيم فلسطين ، وتقرر ان يذهب حاييم وايزمان ، رئيس المنظمة ، الى بولندا ورومانيا لضمان تأييد هذين البلدين لخلق دولة يهودية ٠ كانت سياسة وارسو وبوخارست واضحة جدا في الواقع ٠ وكانت جالية من نحو ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ يهودي تعيش في بولنـــدا ونحو ٨٠٠٫٠٠٠ يهودي يعيشون في رومانيا ٠ وتماما مثل برليـــن ، كانت وارســو وبوخارست مهتمتين في رؤية اليهود يغادرون اراضيهما الوطنية ٠ ولذا كانت هاتـــان

العاصمتان تقفان موقفا مؤيدا جدا للحجج التي يطرحها الصهاينة » (٢٩) ٠

استمر نظام هعفراه ساري المفعول حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية ٠ وخلال الفترة التي طبق فيها ، بلغت الصفقات التي اجريت بموجبه مجموع ١٤٠ مليون مارك ٠ وقرب انتهاء هذه الفترة حاولت بعض الاوساط في المانيا ان تراجعه او تلغيه ، ولكنها لـم تنجح ٠ وبعد ان بلغ اوجه في ١٩٣٧ ، اخذ حجم العمليات التجارية ينخفض ، وكـان سبب ذلك الى حد كبير هو افقار اليهود الذين كانوا لا يزالون في المانيا ٠ وهكذا ، من الاول من كانون الثاني (يناير) ١٩٣٨ الى ايلول (سبتمبر) ١٩٣٩ ، انخفضت العمليات التجارية الى نحو ٢٧ مليون مارك ، اي اقل مما كانت في العام ١٩٣٧ باكثـر من ٤ ملايين مارك (٣٠) ٠

وفي هذه الاثناء فان الاجراءات الجديدة التي تبنتها المانيا النازية لارغام اليهود على الهجرة من البلاد ، مقرونة مع ضم النمسا الى المانيا ، تطلبت اتفاقيات جديدة واكثـر شمولا لتحل محل هعفراه ٠

IV اتفاقات الهجرة لعـام ١٩٣٨

اثبتت سنة ١٩٣٨ انها سنة مظفرة بالنسبة الى هتلر ٠ وبين اهم احداثها ضم النمسا واتفاقية ميونيخ ، الاستسلام الدبلوماسي للحكومتين البريطانية والفرنسية الذي مكـن النازيين من تقطيع اوصال تشيكوسلوفاكيا ٠ وهذه النجاحات شجعت النازيين على زيادة حملتهم لاجبار اليهود على الخروج من اوروبا ، كما ان اكتساب اراض جديدة وضـع المزيد من اليهود ، باعداد كبيرة ، ضمن نطاق هذه الحملة ٠ وشهدت نهاية العام المذبحة الشهيرة والمسماة « كريستالناخت » ٠

يجدر بنا اذ نذكر انفسنا هنا بالهدف الدقيق الذي وضعه هتلر نصب عينيه دائما طوال هذه الفترة ٠ وقد لخصه ببلاغة خبيران قانونيان يهوديان ، قبيل اطلاق الحملة المشددة، بهذه الكلمات : « ان الهدف الذي اقسمت على تحقيقه الحكومة الاشتراكية الوطنية هـو اجبار السكان غير الاريين لالمانيا على الهجرة على نطاق واسع ٠ ويجري تحقيق هذا الهدف بواسطة برنامج منظم في التمييز والاهانات ، يقصد به حمل مئات الالوف مـن الافراد على الفرار من بيوتهم » (٣١) ٠

الا ان الاتفاقيات التي تم التوصل اليها مع الصهاينة حتى ذلك الحين لم تكن كافيـة للغايات النازية ، واعتبر سير الهجرة بطيئا جدا ، كما تشير الرواية التالية :

« تأسست المنظمة اليهودية المركزية المسماة Zentralauschus Der Deutschen Juden Fur Hilfe und Aufbau » ١٩٣٣ في الرايخ ٠ وكانت لهذه الهيئة ثلاثة اقسام رئيسية تهتم بالهجرة والمعونة الاقتصادية والاغاثة ، وكانت الوظيفة الخاصة لمكتب المعونة الاقتصادية المساعدة في تغيير المهنة وتدريب الشبيبة ٠٠ ولدى تأليف هذا الكتاب (تشرين اول ، اكتوبر ، ١٩٣٥) كانت هناك عشرة معسكرات للتدريب ، تضم مجموع ٢٧٠٠ شاب وشابة ٠ ويجري تعليم العدد الاكبر منهم الزراعة ٠ والحكومة الالمانية تخلق الصعوبات على الدوام وتهدد بالحل الكامل للمعسكرات ، بحجة ان اليهود قد لا تجري مساعدتهم

للتحضير للمهن اليدوية في المانيا · ولذا يؤمل توسيع هجرة الشبيبة الى فلسطين ، بحيث يذهب الالوف كل سنة » (٣٢) ·

سبق ان لاحظنا آنفا ان النازيين قد سمحوا للصهاينة باقامة مدارس تدريب خاصة لاعداد المهاجرين للحياة في الشرق الاوسط · وكان الامر الذي تطلبته الان المصالح المشتركة للفريقين هو تسريع الهجرة ، واجراءات لوضع برنامج التدريب تحت سيطرة صهيونية ـ نازية اشد · وارسل الصهاينة موفدين خاصين للقيام بالترتيبات الضرورية، في حين عقد النازيون اجتماعات متواصلة لتخطيط استراتيجيتهم من اجل طرد اليهود ·

« في مجرى الجلسة الاولى للجنة التوجيه التابعة (للمكتب المركزي) ، في الحادي عشر من شباط (فبراير) ١٩٣٩ ، شرح هايدريتش انه لا سبب هناك لتخلي المانيا عن ارسال مجموعات غير قانونية من المهاجرين الى فلسطين ···

واستطرد هايدريتش قائلا ان المجموعات غير القانونية ، في اية حال ، ستنطلق الى فلسطين من عدة بلدان اوروبية · لذا تستطيع المانيا ان تلجأ الى نفس الاجراءات · كان هنريخس وايزنلوهر ، من فلهلمشتراسة ، ابعد ما يكونان عن اثارة اي اعتراضات ،وعلى العكس اصرا على ان (المانيا يجب ان تربح من اية مناسبة تعرض نفسها لها لطرد يهودي خارج البلاد) · ولم يتخلف فوهلتان عنهما · وقال انه سمع في لندن ان (فلسطين يمكن ان تستوعب نحو ٨٠٠ر٠٠٠ الى مليون يهودي اضافي ، واذا لم يذهب يهود المانيا الى هناك ، فان بامكان بلدان اخرى ان تلبي هذا الطلب) ·

منذ نهاية كانون اول (ديسمبر) ١٩٣٨ كان موفدان من فلسطين ، هما بنحاس غينزبرغ وماكس زيملز ، يعملان بلا انقطاع على اراضي المرايخ لاعداد قوافل غير قانونية الى فلسطين · ولم يضع الغستابو اية عقبات في طريق نشاطهما » (٣٣) ·

ويروي كاتبان صهيونيان ، يشيران الى غينزبرغ بلقبه ، « بينو » ، كيف ان الوكالة اليهودية ارسلته ليجتمع بمراقب المسالة اليهودية في مقر قيادة الغستابو · « كان في مهمة خاصة · كان عمله هو ما اراده النازيون · وكان هدفه هو تنظيم هجرة اليهود الالمان الى فلسطين · ولم يكن بالامكان تنفيذ هذا المشروع على نطاق كبير الا بمعونة الزعماء النازيين · وصار (مراقب) الغستابو مهتما بالموضوع الآن · واستدعى اليه ثلاثة من مسؤولي الغستابو الاخرين · وتحولت المقابلة الى مؤتمر · كان الغستابو يبحث كيفية مساعدة وزيادة الهجرة اليهودية (غير القانونية) الى فلسطين ضد ارادة الانتداب البريطاني » ·

ولذلك طلب غينزبرغ مساعدة الغستابو لمشروعه · ولدى اختتام المقابلة غادر مقر قيادة الغستابو ليذهب الى مكتب برلين التابع للمنظمة الصهيونية · « وبحلول الوقت الذي وصل فيه المبعوث الى المكاتب الصهيونية ، اخبره الموظفون المثارون ان جواب الغستابو ينتظره · بامكانه ان يبقى · ويمكنه ان يبدأ العمل على الفور · حتى ان بامكانه ان يختار روادا من اليهود الشبان الذين ارسلوا الى معسكرات الاعتقال · ولن يكون مطلوبا منه ان يمر عبر الروتين الحكومي الذي لا نهاية له · بامكانه ان يقيم معسكرات تدريب للمهاجرين المختارين الذين سيجري تهريبهم الى فلسطين عبر الحصار البريطاني·· كان قد جلب معه ملعقته الطويلة · ولم يكن قلقا من انه الآن سيتعشى مع الشيطان · وفي الواقع شعر بكثير من الرضى وهو يقرأ جواب الغستابو » (٣٤) ·

كذلك خلال العام ١٩٣٨ ، بعد ضم النمسا مباشرة ، ارسل الصهاينة موفدا آخر ، هو موشي بار ـ جلعاد ، الى فيينا في مهمة مماثلة · « وسرعان ما اكتشف بار ـ جلعاد ، كما اكتشف زميله في برلين ، ان الطريق الوحيدة الى الهجرة الواسعة النطاق من النمسا تمر عبر قيادة الغستابو ومكتب الاس اس للشؤون اليهودية الذي تمت مصادرة دارة البارون روتشيلد الفخمة له · وهناك جلس الكابتن كارل ادولف ايخمان المشرف على (المكتب المركزي للهجرة اليهودية) · كان اسمه سيصير شهيرا وسيء السمعة · استقبل بار ـ جلعاد بأدب · كذلك تأثر بما بدر عن هذا الزائر غير الاعتيادي من ثقة بالنفس ، وكلام صريح ·

شرح بار ـ جلعاد انه يريد ان يسمح له باقامة معسكرات تدريب الرواد لتدريب الشبان والشابات من اجل العمل في فلسطين وبترتيب هجرتهم باقصى ما تسمح به الاوضاع من سرعة ·· وكانت جماعة صهيونية منشقة ، « المرتدون » ، وهم مناضلون يمينيون ، منهمكة في نقل المهاجرين غير القانوني الى فلسطين · وشرح بار ـ جلعاد ان المرتدين كانوا يأخذون بالدرجة الاولى هؤلاء اليهود الذين يستطيعون دفع الثمن الباهظ للنقل غير القانوني ، في حين ان منظمته مهتمة بالشبان والشابات المستعدين للتحول الى رواد · ومعظمهم لا مال لديهم · وستتحمل منظمته الكلفة بأكملها · ولا يريد ايـة مساعدة مالية من الغستابو · وكل ما طلبه هو الا توضع عراقيل امام عمله » ·

وبعد ذلك باسبوعين تلقى بار ـ جلعاد جواب ايخمان ، على طلبات الحركة الصهيونية ، قال له ايخمان انه سيساعد في تأمين المزارع والمنشآت لاقامة مراكز تدريب للراغبين في الهجرة ، لكن النقل الفعلي يجب ان يترك للمرتدين ، الصهاينة المنشقين ، و (للمشاريع الخاصة) ··· ولم يستطع بار ـ جلعاد ان يوافق على استثناء حركته من عمليات النقل، ولكن ايخمان حافظ على وعده فيما يتعلق بمنشآت التدريب · وقدم المزارع والادوات الزراعية · وفي احدى المناسبات طرد جماعة من الراهبات من احد الاديرة لتأمين مزرعة تدريب لليهود الشبان · وبحلول نهاية ١٩٣٨ كان نحو الف يهودي يخضعون للتدريب في هذه المعسكرات التي قدمها النازيون » (٣٥) ·

كان هذان الموفدان ممثلين رسميين لـ « اتحاد المستوطنات الكوميونية » الذي نفذ ، ضمن الحركة الصهيونية ، العمل لتأسيس وتقوية الكيبوتسات · وهذه المستوطنات ، كما صار معروفا على نطاق واسع الآن ، هي شبه عسكرية من طبيعتها · والاتفاقيات التي توصل اليها هذان المبعوثان عن طريق الاتصال بالغستابو ، والاس اس ، والتي بموجبها قدمت المانيا النازية مساهمة حيوية نحو تعزيز الطاقة البشرية الصهيونية والتدريب وبالتالي زيادة الفعالية العسكرية ، لم تكن ترتيبا غير رسمي · بل كانت اتفاقيات دخلتها الحكومة النازية رسميا وان يكن بصورة سرية : تحالف مصلحة امر به هتلر نفسه في توجيه سياسي ·

« تم ايصال قرار هتلر عن طريق مكتب الشؤون الخارجية للحزب النازي الى جميع الوزارات المعنية ، قيل لها ان الفوهرر قد قرر من جديد ان « يستمر تشجيع الهجرة اليهودية من المانيا بجميع الوسائل الممكنة · واي سؤال يكون قد وجد حتى ذلك الحين حول ما اذا كانت مثل هذه الهجرة ، فيرأي الفوهرر ، ستوجه الى فلسطين اجيب عنه بالايجاب » (٣٦) ·

ان وجود هذه السياسة النازية الرسمية اكدته ايضا المؤرخة اليهودية حنه اريندت ، في وصفها عمل ايخمان في فيينا العام ١٩٣٨ : « كانت مهمة ايخمان قد حددت بانهـا (هجرة اجبارية) ، وعنت العبارة تماما ما قالته : ان جميع اليهود ، بصرف النظـر عن رغباتهم وعن مواطنيتهم ، سيصار الى ارغامهم على الهجرة ، وهو عمل يسمى باللغة العادية طردا · وكلما عاد ايخمان بفكره الى الاعوام الاثني عشرة التي كان فيها رئيسا لمركز هجرة يهود النمسا ، كان يعين هذه السنة بوصفها اسعد وانجح فتراتها » (٣٧) ·

كان اضطهاد اليهود كذلك شكلا مربحا من اشكال التجارة الكبيرة ، فضلا عن جميـع وجوهه الكريهة الاخرى · فمن المعروف ان الكثيرين من النازيين جمعوا ثروات كبيرة ، عادة من ممتلكات ضحاياهم او عمل الرق الذي كانوا يقومون به · والامر الذي لا يعرفه كثيرون ان المنظمين الصهاينة للهجرة ، عن طريق تعاونهم مع النازيين ، كذلك اخـذوا حصتهم من الفوائد المادية على حساب اليهود الافراد ·

« لذلك ارسل ايخمان موظفين يهود الى الخارج لجمع الاموال من المنظمات اليهوديـة الكبيرة ، ومن ثم كانت الجالية اليهودية تبيع هذه الاموال الى الاشخاص الراغبيـن بالهجرة بربح كبير ، مثال ذلك ان الدولار الواحد كان يباع بعشرة الى عشرين ماركـا في حين كانت قيمته في السوق تساوي ٤ر٢٠ ماركات » (٣٨) ·

هذا العمل « الخيري » ، الذي ادارته الحركة الصهيونية ، صار مربحا جدا · الا ان هدف جميع عمليات « الانقاذ » والاتفاقيات الصهيونية مع النازيين كان غيـر انساني ، كما يتضح من الرواية التي تصف بعثات بار ـ جلعاد وغينزبرغ · « هذان المبعوثـان اليهوديان لم يأتيا الى المانيا النازية لانقاذ اليهود الالمان · لم تكن هذه مهمتهما · فقد كان يصرفهما مركزا كليا على فلسطين والانتداب البريطاني · كانا يبحثان عن شبـان وشابات صغار يريدون الذهاب الى فلسطين لانهم يريدون وطنا قوميا خاصا بهم وكانـوا مستعدين للريادة والصراع ،واذا دعت الحاجة للقتال من اجله · وكان اهتمامهم بهؤلاء اليهود الالمان الذين تحولوا الى فلسطين كملجأ لهم ، بوصفها ثاني بلد مفضل لديهـم بعد الولايات المتحدة او المملكة المتحدة ، ثانويا بالنسبة الى غايتهم الاساسية ·

فالغاية كانت بالنسبة اليهما اهم بكثير من الوسيلة التي اضطرا الان الى استخدامهـا · ومع انه لم يكن باستطاعتهما ان يريا المستقبل ، ولا تصور ما سيحمله ، فانهما لم يشعرا بوخز ضمير حول الثمن الذي كان عليهما ان يدفعاه طالما افلحا في ارسال يهود اكثر الى فلسطين » (٣٩) ·

وجاء التنفيذ في اعقاب التوقيع على اتفاقيات « المصالح المشتركة » بين النازييـن والصهاينة ، بفضل جهود غينزبرغ وبار ـ جلعاد · وكان النازيون مستعدين تماما لتوفير وسائل الاقناع للتغلب على تمنع اعداد كبيرة من اليهود الالمان عن اقتلاع جذورهـم بنـاء لاوامر الصهاينـة ·

« كانت البداية بطيئة لكن الليلة الكالحة للتاسع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨ ، التي نفذ النازيون خلالها اضطرابات منظمة احرقت فيها ممتلكات اليهود الالمان واعتدي عليهم ، اقنعت الزعماء اليهود الالمان بان الهجرة ، باية وسيلة متوفرة لهم ، تبقى املهـم الوحيـد ·

وفيما اتضح هذا الادراك للجماهير اليهودية ، اخذ اليهود من جميع انحاء المانيا يتدفقون على مينيكيشتراسي * ، وتدفقت طلبات الهجرة على مكاتب هيجالوتس ، حركة الريادة الصهيونية ، التي كانت مقر بينو » (٤٠) ٠

وفيما بدىء في تنفيذ الاتفاقيات بصورة جدية ، نمت بين الصهاينة والنازيين روح غريبة من التعاون وحتى الصداقة الحميمة ٠ وكان هناك فرق كبير بين هذه العلاقة والموقف النازي من هؤلاء اليهود ـ الاكثرية العظمى في الواقع ـ الذين كانوا غير راغبين ، او عاجزين عن الامتثال للطلب الصهيوني والنازي بان يتركوا بيوتهم في اوروبا ٠

« في اذار (مارس) ١٩٣٩ ، غادرت برلين اول شحنةمن ٢٨٠ المانيا يهوديا نظمها بينو ،وكانوا ظاهريا يقصدون مزارع التدريب الصهيونية في يوغوسلافيا ٠ وقدمت السلطات النازية قطارا خاصا ورافق موظفون نازيون القطار حتى فيينا ، حيث انضمت الجماعة الى جماعة اكبر من اليهود النمسويين كان يرافقها نازيون نمسويون ٠

الجزء النمسوي من عملية النقل نظمها بار ـ جلعاد الذي كان يعمل في فيينا ٠٠٠

ولا بد ان يكون منظر القطار قد بدا غريبا مع المئات من الرواد المنشدين ، ومع الحراس النازيين الضجرين المذين اطلوا من النوافذ فيما راح يعبر الارياف الكسولة لجنوبي النمسا ٠ وسارت الرحلة حسب الخطة ٠ فقد نزل عدة مئات منالشبان والشابات اليهود سرا على شواطىء فلسطين » (٤١) ٠

بمهارة تلاعبت الحركة الصهيونية بمشاعر الخوف لدى اليهود الالمان فاقنعتهم بالتبرع بمبالغ كبيرة من المال من اجل التوسيع السريع لمعسكرات التدريب ووسائل النقل بحيث تتحول قطرات المهاجرين الى فيضان ٠ واستمرت اتفاقيات الهجرة الصهيونية ـ النازية على هذا النحو لسنتين في اعقاب اندلاع الحرب العالمية الثانية ٠ الا ان عمليتها السائرة على نحو جيد اعيقت في ١٩٤١ بعدما هاجمت المانيا الاتحاد السوفياتي ٠ وجادل النازيون ان الاتفاقيات لم تعد قادرة على العمل نظرا الى حاجتهم لاعطاء الاولوية للوضع العسكري على الجبهة الشرقية لدىتوزيع وسائل النقل ، والى التمزق العام نتيجة الحرب للمواصلات في اوروبا الوسطى والشرقية ٠

ولما وجد هتلر انه لم يعد من الممكن تخليص اوروبا من اليهود بواسطةالهجرة ، اختار طريقة اخرى ٠ « في كانون ثاني (يناير) ١٩٣٨ كان قد اعطى الاوامر بوجوب توجيه الهجرة مباشرة الى فلسطين ، وعندما اغلق ذلك الباب ايضا ، تبنى الطريقة البسيطة للخروج التي طرحت نفسها عليه الآن ، (الحل النهائي) لمعسكر الابادة » (٤٢) ٠

هذه الحالة الجديدة وضعت الصهيونية امام اختيار خطير بين سبيلي عمل ٠ كان الاول هو اعلان الحرب على النازية ، والتخلي عن اتفاقيات ١٩٣٨ كليا ورفع راية الثورة اليهودية ضد النازية في جميع انحاء اوروبا ٠ وبالطبع كان هذا سيعني التخلي بصورة نهائية عن اي احتمال في تأمين حتى هجرة « قانونية » محدودة للطاقة البشرية الصهيونية من اوروبا عن طريق التعاون مع النازيين في المستقبل ، اذا ما تغيرت الحالة اللوجستية فيما بعد لتسمح بذلك ٠ واختيار المقاومة سيعني ايضا ان الصهاينة سيلقون

---

* البيت رقم ١٠ مينيكيشتراسي كان مقر قيادة المنظمة الصهيونية في برلين ٠

بأنفسهم في الصراع ضد الظلم واللاسامية في اوروبا ، جنبا الى جنب مع غير اليهود ودعاة الاستيعاب او اليهود التقدميين · وهذا لن يعني بالنسبة الى الصهيونية ، ضمنا ، التشكيك الخطير في اعمق معتقداتهم فحسب ، ولكنه سيكون ايضا وربما حتى بصورة اخطر ، اعترافا بهزيمة فلسفتهم كلها ·

كان سبيل العمل الثاني المفتوح امام الصهاينة هو القبول بان الوضع قد تغير ، مؤقتا على الاقل ، في اتجاه غير مؤات لهم ، ومحاولة انقاذ ما يمكنهم انقاذه عن طريق التوصل الى ترتيبات جديدة ، ولكنها محدودة اكثر · وسيعني هذا بالطبع القبول بموت اعداد كبيرة من ابناء ملتهم · الا انه سيكون له امتياز ابقاء باب الاتصال مع المانيا النازية مفتوحا ، ويمكن استخدامه اذا عادت الحالة فتغيرت لتصير مؤاتية اكثر في المستقبل · والى ذلك لن ينطوي هذا على اي تخفيف جوهري او هزيمة للايديولوجيا الصهيونية ·

ان توقيع الاتفاقيات الباكرة مع المانيا النازية قادت الحركة الصهيونية بصورة حتمية الى هذا الاختيار الاليم · لقد جادل بعض المدافعين عن الحركة الصهيونية بان الصهاينة لم يكونوا يتصرفون استنادا الى دوافع شريرة في الواقع · وبصرف النظر عن الخطر الاخلاقي للادعاء بصورة عمياء ان الغاية تبرر الوسيلة ، فانه من المشكوك فيه جدا ان الصهاينة ، بمهارتهم البارزة في التخطيط البعيد المدى ، كانوا لا يعون الطبيعة الحقيقية او السبيل المحتمل للسياسة النازية ، وهما امران كانا واضحين لمعظم الاوروبيين العاديين منذ اواسط الثلاثينات على الاقل · وفي هذا السياق ادلى المدعي العام في محاكمة ايخمان ، جدعون هاوزنر ، ببعض التعليقات الصحيحة تماما · فقد قال في معرض اشارته الى هتلر : « عندما اطلق العنان لكراهية اليهود ، كان قد سار ايضا في الدرب السحيق الذي غاص الى (يوم المقاطعة) ، في الاول من نيسان (ابريل) ١٩٣٣ ، والى الكريستالناخت في ٩ ـ ١٠ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٣٨ ، والى قرار (الابادة المادية) في ٣١ تموز (يوليو) ١٩٤١ · كان هذا هو منطق الاحداث ، التي تطور كل منها من الحدث الذي سبقه ، وادى بصورة لا ترحم الى الحدث الذي يليه · وادت طريق اللاسامية الى اوشفيتز » (٤٣) ·

ان منطق الدرب السحيق لم ينطبق على النازيين فقط ، فالصهاينة بقبولهم المبدأ الحاسم للمصالح المشتركة والتعاون اللاحق مع النازية ، مهما كان محدودا في نطاقه خلال الثلاثينات ، وضعوا انفسهم على دربهم السحيق الموازي · كما ان ظاهرتي اللاسامية وتحالف المصلحة الذي ربط الصهاينة بهما ، على امل استخدامهما بوصفهما « القوة الدافعة » التي يحتاجونها ، لا يمكن فصلهما فصلا تاما · فقد اثرت كل منهما في الاخرى ، كما يحدث بصورة محتمة مع أية قوتين سياسيتين تكون العلاقة بينهما علاقة اتصال وثيق ، سواء في المجابهة او في التعاون ·

وفي اية حال ، مهما كانت الاعذار التي يمكن تقديمها لاتفاقيات الصهيونية مع النازية في الثلاثينات ، فانها لا يمكن ان تكون مسوغة لاي تعاون مستمر بعدما شرع النازيون في تنفيذ الابادة الجماعية على نطاق واسع في اواسط العام ١٩٤١ · وخلال فترة ١٩٤١ ـ ١٩٤٤ ، انفصل عدد من الصهاينة الافراد في اوروبا الشرقية التي يحتلها النازيون ، امثال موردخاي آنيليفتش ، عن السياسة الصهيونية التقليدية وشاركوا في الثورة على النازية · لكن هذه الثورات كانت جميعها منظمة محليا ، من قبل يهود في وارسو وفيلنو وبياليستوك ومناطق اخرى ، احيانا كثيرة بالتعاون مع بعضهم البعض

ضمن المناطق المحتلة ، ولكن دون تعاون الحركة الصهيونية على الصعيد الدولي ٠

٧ ثـورات الغيتوات

لا يسجل التاريخ اي اعلان للثورة من قبل الحركة الصهيونية ضد النازيـــة فـــي اوروبا ٠ ويجدر بنا ان نسأل لماذا ٠ وكما سأل كاتب يهودي : « لماذا لم يكن هناك دفاع ذاتي يهودي منظم وعلى اهبة الاستعداد ؟٠٠ كذلك كان هناك عشرات الالوف من الجنود اليهود في جيش الجمهورية البولندية ، لماذا لم تكن هناك يد موجهة لتعليمهم على الاقـل ان يحملوا اسلحتهم معهم الى بيوتهم ، وان يخفوها في مخبأ ما ٠٠ بحيث يكون لهم فيما بعد ، لدى قيام منظمات القتال اليهوديـــة ، بعض الادوات على الاقل لمواجهـــة النازيين ؟ » (٤٤) ٠ وتجدر الملاحظة ان يهود بولندا كانوا يؤلفون نحو نصف الستـــة ملايين يهودي الذين يقدر ان النازية قتلتهم ٠

على الرغم من عدم وجود اي استعداد من هذا النوع ، فان يهـود اوروبا اكتسبوا شرف القيام بالكثير من اعمال المقاومة الشجاعة ، التي تم تسجيلها من قبل مؤرخين يهود امثال روبن اينشتاين ، الذي ألف كتابا شاملا ودقيقا حول الموضوع ٠ فان اعدادا كبيرة مـن اليهود انضموا الى حركات الانصار ، وخصوصا في المناطق التي احتلها النازيون مـن الاتحاد السوفياتي ، وكذلك قاموا بانتفاضات رائعة في الغيتوات وحتى في معسكرات الاعتقال ٠ الا ان اينشتاين ، في دراسته التي تقع في ٨٤٩ صفحة ، لا يستشهد بأية حالة من حالات المعونة العسكرية لهذه الثورات من قبل الجهاز العالمي العالي التنظيم للحركة الصهيونية خارج اوروبا التي احتلها النازيون ٠ وفي الواقع ، اشـار تكـرارا الى ان الحلفاء الوحيدين لمقاتلي الغيتو خارج جدران الغيتو كانوا الجماعات المحلية مـــن اليساريين او غيرهم من مناهضي النازية ، امثال حراس الشعب (الذين اطلق عليهم فيما بعد اسم جيش الشعب) التابعين لحزب العمال البولندي الشيوعي (٤٥) ٠

ويبدو هذا الامر اكثر غرابة عندما نعلم ان اينشتاين هو نفسه موال للصهيونية وكتابه مليء بالتعليقات المناهضة للسوفيات وبتمجيد الافراد والجماعات الصغيرة الصهيونية التي قهرتها المذبحة اليهودية بعد ١٩٤١ ، واحيانا كثيرة لم يكن لديها اي اختيار ســـوى المقاومة ٠ وبعد انهيار اتفاقيات الهجرة الصهيونية في ذلك الوقـت ، وجـدت اعداد مـن الجماعات الصهيونية ، وبخاصة في بولندا ، نفسها عاجزة عن الاتصـال بالقيـــادة الصهيونية خارج الاراضي التي يحتلها النازيون ٠ وكما كتب زعيم احدى هذه الجماعات ، في رسالة تحث الجيش الوطني البولندي على تزويد غيتو وارسو بالاسلحة : « كم نحـن نأسف لعدم وجود اية امكانيات للاتصال المباشر بحكومات الدول الحليفة ، وبالحكومـة البولندية ، وبالمنظمات اليهودية في الخارج » (٤٦) ٠

تؤلف ثورات الغيتوات شكلا رائعا ، وحتى فريدا ، من اشكال المقاومة التي قام بهـا اليهود في مناطق اوروبا الشرقية ٠ وحدثت هذه المقاومة عندما ادرك سكان الغيتوات ان الهدف النازي هو ابادتهم ٠ وادرك بعض الغيتوات هذا الامر قبل البعض الاخر ٠ « لم يتضح لجماهير يهود وارسو ان هدف الالمان كان الابادة الكاملة لليهود الذين يستطيعون الامساك بهم الا في صيف ١٩٤٢ ، عندما ارسل في ثلاثة اشهر ٣٠٠ الف يهودي الـى حجرات الغاز في تريبلينكا واماكن الذبح الاخرى ٠ وحتى في بياليستوك ، على الرغم من المجازر التي اعقبت استيلاء الفيرماخت على المدينة ، كان من الممكن لاحد اليهـود

ان يوهم نفسه بأن الالمان قد يسمحون لبقية من يهود الغيتو بأن تبقى على قيد الحياة · ولكن في فيلنو صارت الحقيقة حول طبيعة كره النازيين لليهود واضحة للذين كانت لديهم الشجاعة المعنوية والجسدية لمواجهتها حتى قبل نهاية ١٩٤١ » (٤٧) ·

كما ان جوزف تيننباوم يؤكد ان خطط الابادة النازية صارت معروفة على نطاق واسع لدى اليهود في اوروبا بعد ان ابتدأ تنفيذها · ويشير تيننباوم الى ان النازيين لم يستطيعوا ان يخفوا خبر معسكرات الموت لمدة طويلة · « جاء خبر معسكر القتل في تريبلينكا مثل قصف الرعد · كان البعض قد سمعه قبل ذلك ، وتهامسوا حوله · وكان هناك خبر من تشيلمنو حول الابادة الجماعية لليهود في شاحنات مغلقة مليئة بالغاز · وكانت هناك اخبار رهيبة حملها لاجئون من فيلنو عن مجازر اليهود في سلوفيم ، وبارانوفيتش ، واماكن اخرى · ولكن من يصدق ان مثل هذه الفظائع ممكنة ؟ وسرعان ما جاء البرهان الذي لا يقبل الجدل · ففي تموز (يوليو) ١٩٤٢ اوفد « زيغمونت » (فريدريش) للتأكد من صحة قصة تريبلينكا · ووصل الى مالكينيا · وهناك التقى ازرييل فالاخ ، وهو سجين هارب من تريبلينكا ، فأكد صحة اسوأ الشائعات · وحمل فريدريش الخبر الحزين الى وارسو ، حيث انتشر في جميع انحاء بولندا المحتلة · ورصت المنظمة اليهودية السرية صوفها · ونشرت خبر تريبلينكا ولفتت الجميع الى هذه المعلومات · » (٤٨) ·

« منذ كانون اول (ديسمبر) ١٩٤١ تم ارسال ايديك بوراكس ويسرائيل كمبنر وبينتشوفسكي الى وارسو حاملين اخبار بوناري · وحمل فريق اخر ، مؤلف من تشيكا غروسمان وتمارا شنايدرمان ، المعلومات الصحيحة حول التطورات في فيلنو · وقامت بيلا حزان باسم برونيا ليمانوفسكي المنتحل ، وجواز سفر مزور ، باتصال شخصي مع غرودنو · لم تكن هناك جدران غيتوات بالنسبة لهؤلاء السعاة المجنحين · وليا (ليونيا) كازيبرودسكا هي احدى رسل فيلنو وكانت دائمة التحرك · وقد اعتقلت واعدمت في نيسان (ابريل) ١٩٤٢ · كذلك فان فروفكا بلوتنيكا ، التي حملت المال الذي استولى عليه مدير (التوزيع المشترك) في وارسو من اجل منظمات الشبيبة في فيلنو ، حملت اخبار تريبلينكا · وسافرت فيما بعد الى كوفيل ، حيث نظمت حركة سرية واقامت الاتصالات مع بياليستوك · وكانت ايرينا ادامويتش وجادزيا دودتشيك بين الرسل غير اليهود الذين خدموا القضية بامتياز » (٤٩) ·

يوافق المؤرخون بوجه عام على ان فيلنو (المعروفة ايضا باسم ويلنو وفيلنا) كانت المدينة التي علم فيها اليهود لاول مرة بخطط الابادة الالمانية ، بعدما اعدم عدد كبير في موقع بوناري المجاور ، كما كانت المكان الذي ابتدأت فيه اول محاولة لتنظيم حركة مقاومة يهودية · في ندائها الاول اعلنت الحركة : « لنمتنع عن الذهاب كالخراف الى المذبحة ! صحيح اننا ضعفاء وليس لدينا احد يساعدنا · ولكن جوابنا الجليل الوحيد على العدو يجب ان يكون المقاومة » (٥٠) · وقام يهود فيلنو بأعمال تخريب ضد النازيين ، الا ان آمالهم في انتفاضة جماهيرية لم تتحقق ·

كان احد العوامل الرئيسية في هذا الاخفاق هو دور جاكوب جنز ، المتعاون الصهيوني البارز مع النازيين الذين جعلوه في نهاية المطاف رئيسا لقوة شرطة يهودية في فيلنو · « انه فريد من نوعه لان ما من زعيم اخر من زعماء الغيتوات ذهب الى هذا الحد في خدمة النازيين مثل جنز · وما من زعيم اخر من زعماء الغيتوات استخدم قوة شرطته لتنفيذ القتل الفعلي لليهود · كما انه ما من زعيم اخر من زعماء الغيتوات لعب مثل

هذا الدور الفعال في تخريب المشاركة اليهودية في حركة الانصار · فقد جمع في نفسه القومية الليتوانية مع النوع الفاشي من الصهيونية الذي يمثله اتباع جابوتنسكي بكونه عضو بريت هيجيال (المنظمة العسكرية) الثابتة للصهيونيين الاصلاحيين » ·

وحالما تم حشر يهود فيلنو الباقين على قيد الحياة في غيتوين اثنين ، في السادس والسابع من ايلول (سبتمبر) ١٩٤١ ، صار جنز نائب قائد شرطة الغيتو الذي كان قائده ، موزكات ، محاميا من وارسو ومرتدا كذلك · ولم يكن برنامجه وفلسفته يختلفان عن برامج وفلسفة باراز وروموكوفسكي وميرين او غيرهم من زعماء الغيتوات المتعاونين مع النازيين : فهو ايضا كان يجادل بأن بقية من اليهود قد تبقى على قيد الحياة اذا جعلت نفسها مفيدة اقتصاديا لآلة الحرب النازية · لكن الامر الذي حبب الغيستابو به لم يكن نجاحه في بناء المشاغل في الغيتو ، بل قسوته في تسليم الضحايا اليهود وفائدته في منع فرار الشبان اليهود الى الغابات لينضموا الى الانصار ···

« بعد ان تبنى ، كيهودي وكليتواني ، ايديولوجيا تمجد فضائل القيادة ، وجد انه من الممكن له ان يصدق ان لديه رسالة يجب ان يحققها وان يعرف ما هو صالح لرعاياه اليهود · وبما ان العمل وحده لم يكن كافيا لتأمين بقاء يهوده ، فقد كان مستعدا لتولي المسؤولية لاختيار الضحايا الذين كان عليهم ان يطعموا مولوخ النازيين · وقد فعل ذلك بكفاءة تامة ، بحيث ان رجال الغستابو جعلوه في خريف ١٩٤٢ دكتاتورا ، لا على غيتو فيلنو فحسب ، بل ايضا على جميع الغيتوات الريفية الباقية في منطقة فيلنو » · في تشرين اول (اكتوبر) ١٩٤٢ قال النازيون لجنز انهم يريدون ان يقتل ١٥٠٠ يهودي في غيتو اوشمياني · وفي ما بعد « وافقوا على خفض عدد الضحايا الى ٤٠٠ بشرط ان يختارهم ويقتلهم رجال شرطة جنز » · فوافق جنز ، وارسل رئيس شرطته ساليك دزلر (وهو ايضا من المرتدين) مع ٣٠ شرطيا · فاختاروا ٤١٠ مرضى ومتقدمين في السن وقتلوهم هم انفسهم · ودافع جنز عن عمله بادعائه « انه من واجبنا ان ننقذ الاقوياء والصغار ، ولا ندع العواطف تتغلب علينا » (٥١) ·

« في الخامس من نيسان (ابريل) ١٩٤٣ ظهر اعلان على جدران الغيتو ، يحث اليهود الذين لديهم اقرباء في كوفنو على الانضمام الى عربات النقل من القرى المجاورة ، وبالدرجة الاولى سنيبيزوك ، وقد زعم انها متوجهة الى كوفنو · وصيغ الاعلان بلغة مغرية ، مصورا اوضاع معيشة افضل ، وتسهيلات سكنية اوفر مما هو متوافر في غيتو فيلنو المزدحم · وعمل جنز باجتهاد من اجل خطة كوفنو ، وتطوع الكثيرون من الضحايا غير المشتبهين للانضمام الى قافلة كوفنو · وتسلق القطارات ما يبلغ مجموعه نحو ٥٠٠٠ يهودي ··· وسرعان ما اتضح ان القطارات ، بدل ان تتوجه الى كوفنو ، افرغت حمولاتها في بوناري ، وتم قتل الضحايا بنيران المدافع الرشاشة » (٥٢) · الا ان بعض الضحايا استطاع الفرار ، وروى حكايتهم ·

لعب جنز دورا غادرا ، وبنوع خاص خيانته زعيم مقاومة غيتو فيلنو ، اتزيك فتنبرغ ، الذي كان شيوعيا وبالتالي هدفا خاصا لكراهية المرتدين اليمينيين · « ذات ليلة اعتقل فتنبرغ بخدعة من الشرطة اليهودية ، لكن رفاقه المتيقظين انقذوه وعاد الى مقر القيادة دون ان يصيبه اذى ··· ولسوء الحظ ، فان جنز السريع الاستثارة ، ومفوض شرطته عديم الشفقة ، سالا دزلر ، فاقا الجميع بالاحابيل · فقد ارسلا كلاب شطرتهما ، تساعدهما حثالة الغيتو ، لجمع الجمهور من اجل اجتماع ملح · وتجمهر الناس مذعنين · وامام

الاجتماع الحاشد اظهر جنز حاسته المتفوقة في مخاطبة غريزة الخوف لدى الجمهور المرتعد · فقد خطب في الجمهور منذرا اياه بألا يدع السلامة الشخصية لاحد الرجال تهدد بالخطر سلامة الجميع ، ونقل اليهم خطط الغستابو المزعومة لمحو الغيتو بضربة واحدة بالقنابل والدبابات والمدافع وجميع نيران جهنم ، الا اذا لبوا الانذار بتسليم فتنبرغ · « تحت هذا الابتزاز استسلم فتنبرغ في الساعة المعينة لدزلر الدموي ، الذي سلمه الى الغستابو ··· وكسر العمود الفقري للحركة · وانتشر حجاب من الرعب فوق الجميع · ولم تكن هناك فائدة لانكار ان الغستابو قد احرز انتصارا حاسما دون معركة » (٥٣) ·

بعد موت فتنبرغ افلح الصهاينة في ان يجعلوا واحدا منهم ، هو آبا كوفنر ، يخلفه · « نجح كوفنر ، ممثل (هاشومير هاتسعير) ، في ان يعين نفسه قائدا لقوات القتال السرية في فيلنو* ، التي ادخرت الذخيرة وجندت افرادا اقوياء مدربين ومستعدين للقتال · الا انها لم تستخدم مواردها ابدا ضد الالمان في الغيتو ، وبالتالي توصل كوفنر الى اتفاق مع رئيس الغيتو (جنز) وقائد الشرطة اليهودية (دزلر) ، ألزما نفسيهما بموجبه ، مقابل امتناع الحركة السرية عن القيام بأي عمل ، بألا يؤذيا ايا من اعضائها ، وايضا بوعدهما اياهم بالخروج من الغيتو ، عندما يصير على شفير الدمار النهائي · كان لهؤلاء الثلاثة ـ جنز ودزلر وكوفنر ـ رأي مشترك ، كان ايضا طريقة تفكير الدكتور وايزمان وناشان شغالب ، ممثل الوكالة اليهودية في سويسرا : « التضحية بالسنين والعامة ، وانقاذ (النخبة) من الشبيبة (اصدقائنا) ·

وعندما وصل ممثلو الانصار الى فيلنا ، حاملين خبر الحل النهائي والنصيحة ليهود فيلنا بأن ينقذوا انفسهم في الغابات وينضموا الى معسكرات الانصار ، ماذا فعل كوفنر ؟·

ابقى كوفنر ممثلي الانصار معزولين ، بحيث لا يقوم اتصال بينهم وبين الجماهير في الغيتو وبحيث لا ينظمون جماعات من اليهود العاملين للفرار الى الغابات ·

الا ان الفرار الى الغابات لم يبق سرا على السكان · وكلما غادرت جماعة الغيتو ، كان كثيرون يركضون وراءها ويريدون الانضمام اليها · ولكن بناء على اوامر كوفنر ، كان يجري تفتيش مستفيض في وقت المغادرة ويصار الى طرد اليهود من البوابة · وفي حالات نادرة فقط كان ينجح احدهم في الاختلاط بالمقاتلين ويخرج معهم · وجدير بالملاحظة ، ان هؤلاء (اللاشرعيين) انفسهم صاروا ، فيما بعد ، افضل المقاتلين في الغابات ·

وبدأ اليهود يتبادلون القيل والقال حول رئيس المنظمة ، كوفنر : كيف هو افضل من قائد الشرطة ؟ فأحدهما يقرر من سيموت ، والاخر يختار من سيسمح له بالعيش · لقد سمحا لمئات من اليهود بأن يذبحوا ، وكان هؤلاء سينجحون حتما في تقديم مساهمة مهمة في القتال ضد العدو ، واليهود هم الذين اغلقوا بوابات الخلاص امامهم ·

كان مصير غيتو فيلنا قد تقرر نهائيا · وفي اليوم السابق للابادة النهائية ، خان كوفنر دستور منظمته السرية · فالفقرة الثانية والعشرون من الدستور تنص : (لن نذهب الى الغابة الا كنتيجة للقتال ، بعد ان نحقق هدفنا · سنأخذ معنا اكبر عدد ممكن من اليهود وسنشق دربا الى الغابة ، التي سنواصل منها القتال ضد الغزاة القتلة) ·

---

* فيلنو ، وويلنو ، وفيلنا هي طرق مختلفة لتهجئة اسم المكان نفسه ·

في الواقع وعد كوفنر بأن يخرج من الغيتو ٥٠ من اصدقائه من المنظمة فقط · وعلى الرغم من جميع الاحتياطات ، صار معروفا في الغيتو ، ان المقاتلين يتجمعون ليغادروا الغيتو · وتجمع عشرات من الشبان الاصحاء الاقوياء في الفناء وناشدوا كوفنر بأن يسمح لهم بالانضمام الى الذين سيغادرون ، لكن كوفنر قسى قلبه ، وهددهم بمسدسه وطردهم · وقام رجال كوفنر بحراسة فتحة المجرور لكي لا يتسلل منه اي اشخاص (لاشرعيين) ·

وفي الغابات ايضا استمر كوفنر ، بوصفه قائد الانصار ، في منع الانقاذ وشحن الى الموت كل يهودي لا يعتبره بين اصدقائه ـ اعضاء (هاشومير هاتسعير) (٥٤) ·

يعتقد ان اول انتفاضة جماهيرية حدثت في غيتو لاتشوا في روسيا البيضاء ، في الرابع من اب (اغسطس) ١٩٤٢ · وأحد ابرز وجوه هذا التمرد انه نفذ دون اسلحة نارية · « دخل رجال الاس اس الغيتو وامروا الجميع بأن يصطفوا · وبدلا من ذلك ركض اليهود الى منازلهم واضرموا فيها النار ···

وهاجم يتسخوك روخشتين رئيس الاس اس بفأس · وسقط ضابط الاس اس ارضا ، وقد غطاه الدم · ولما لم يكن امام روخشتين اي طريق خلاص ، قفز في النهر المجاور ، فأردته رصاصة · وفي الوقت ذاته أسقط حاييم تشايفتز وشقيقاه آشر وموشي ـ ليب رجلا اخر من رجال الاس اس · وسقط الماني ثالث على يدي موشي كلونيتسكي ·

والان كان الجمهور قد استثير واقتحم بوابة الغيتو · والذين كان باستطاعتهم ان يهربوا فعلوا ذلك ، تاركين وراءهم غيتو يحترق · وطوردوا واطلق الرصاص عليهم · وسقط الكثيرون · وتناثرت الجثث في البلدة · وركض الناس بما تبقى لديهم من قوة الى الغابة قرب نهر بريبيت ، على امل ان يجدوا ملجأ هناك · ومن اصل ٢٠٠٠ يهودي ، افلح نحو ٦٠٠ في الوصول الى الغابة · لكن الشرطة والروس البيض في تلك المنطقة ، الذين طاردوهم ، قتلوا معظمهم بوحشية ···

ولم ينجح الالمان الا في قيادة بضعة منهم الى القبر ، لان الصغار والمسنين على السواء حاولوا الفرار · كانوا يفضلون الموت برصاصة وهم يركضون على ان يساقوا الى موتهم ·

بعد ذلك ببضعة ايام تجمع ١٢٠ يهوديا من لاتشوا في غابة شوبوت ، على مسافة نحو ٢٠ كيلومترا عن البلدة ، وانضموا الى الانصار ، وقاتلوا جنبا الى جنب معهم ، وفيما بعد مع الجيش الاحمر · وهكذا ثاروا لاحبائهم » (٥٥) ·

احد الادوار الرئيسية في برنامج الابادة لعبته المجالس اليهودية (اليودنرات) ، التي عينها النازيون لادارة كل غيتو · « خدمت المجالس اليهودية كأداة لابقاء الامور هادئة ·

وهدأت كلا من الصغار والبالغين وجعلتهم يشعرون بحاسة امن زائفة ، بحيث لا يفكرون بنشاطات الانقاذ · ولسوء الحظ كان معظم اعضاء المجالس اليهودية صهاينة · واعتقدوا انهم بالتعاون مع الالمان انما يفعلون الشيء الصحيح · وبتحضيرهم قوائم اليهود الذين ارسلوا الى الموت ، اعتقدوا انهم ينقذون اليهود الاخرين · وكان رؤساء المجالس اليهودية يشكون عقدة نقص ، معتقدين انهم يفعلون شيئا تاريخيا بغية انقاذ الامة ـ وكان جميع السكان اليهود يخافونهم » ·

وهكذا « فان اول شيء فعله النازيون في سيليزيا الشرقية العليا ايضا هو انهم اقاموا (مجلس شيوخ) ، وكما حدث في كل مكان اخر ، عينوا اعضاء صهاينة لترؤس المجلس ·

ووجد النازيون في هؤلاء الشيوخ ما كانوا يأملون فيه: خدما مخلصين ومطيعين قادوا جماهير اليهود الى دمارهم بسبب شهوتهم الى المال والقوة ٠

مونيك (موزز) ميرين ، احد الصهاينة في جالية سوسنوفيتش ، نصبه النازيون (امبراطورا) لجميع (مجالس الشيوخ) ، وهو يعين زعماء هذه المجالس في كل جالية ٠ وهو بالطبع لم يعين في هذه المناصب المشينة الا اصدقاءه في الايديولوجيا من المعسكر الصهيوني ٠ وضمنت خطة النازيين الشيطانية ان يترك المصير الشخصي لكل يهودي ـ سواء للحياة او للموت ـ بصورة استثنائية لقرارات (مجالس الشيوخ) ٠ وكان النازيون من حين لاخر يتخذون قرارا حول الكوتا العامة للعمل في المعسكرات وللابادة ، ولكن الاختيار الفردي كان يترك (لمجالس الشيوخ) ، مع ابقاء تنفيذ اعمال الخطف والاعتقال ايضا في ايدي الشرطة اليهودية ٠ وبهذه الطريقة الذكية نجح النازيون نجاحا كبيرا في انجاز القتل الجماعي وتسميم جو الغيتو عن طريق الانحطاط الاخلاقي والفساد ٠ وقام يهودي متدين بارز في بويزن ، هو ريب بونيم ، « بتنبيه يهود المدينة ، كاشفا لهم انهم سيحرقون في الافران وان عليهم ان ينقذوا انفسهم بعدم الظهور للابعاد عندما يستدعيهم المجلس ٠ وكان ريب بونيم يعلم ان ميرين سيثأر لنفسه بصورة وحشية ، لا سيما وانه رفض الاشتراك في مكائد السنتين السابقتين لمجلس الشيوخ ٠ وجاء ثأر ميرين قبل ان يمضي وقت طويل ٠ فقد افشى للغستابو ان ابناء ريب بونيم ينتمون الى الحركة السرية ، وسرعان ما اعتقلوا وارسلوا الى اوشفيتز ٠ وبعد وقت قصير اعتقل ريب بونيم وزوجته كذلك وارسلا الى اوشفيتز » (٥٦) ٠

ولم تلق المحاولات لتنظيم المقاومة في غيتو بياليستوك نجاحا كبيرا ٠ وكان يعود هذا جزئيا الى سوء تقدير تكتيكي من قبل قيادة المقاومة ، التي حاولت ان تقاتل في الغيتو وان تعزز كذلك الانصار الريفيين في الوقت ذاته ، ولكن لم يكن لديها موارد كافية لتحقيق كلتا المهمتين على نحو صحيح ٠ وقوض مهمتهم ايضا تعاون المجلس اليهودي الذي يقوده الصهاينة مع النازيين ٠ « كانت سياسة المجلس اليهودي في بياليستوك مقنعة اكثر لان نصيرها ومنفذها الرئيسي كان افرايم باراز ، وهو مهندس ، وصهيوني ليبرالي في معتقداته السياسية » ٠ وكان لباراز في السابق صيت بانه « رجل نزيه » ، الامر الذي مكنه بمزيد من الفعالية ان يهدىء سكان الغيتو بحيث يشعرون بحاسة امان زائفة ٠

في شباط (فبراير) ١٩٤٣ طالب النازيون بتسليم ٦٣٠٠ يهودي في بياليستوك للابادة ٠ « وامتثل المجلس اليهودي للامر فاعد قوائم باشخاص كانت خطيئتهم انهم فقراء او قد فروا الى بياليستوك من الغيتوات الاقليمية المدمرة ٠ وتم ترتيب الصفقة في سرية مطلقة ، دون اي انذار او تلميح من باراز او الاعضاء الاخرين في المجلس اليهودي الى سكان الغيتو بماذا ينتظرهم ٠ الا ان مقاومة (الكتلة الموحدة المناهضة للفاشية) منعت معظم الناس على القوائم من الذهاب لنقلهم الى حتفهم ، وقاوم سكان الغيتو عندما جاء النازيون ليأخذوهم ٠ وفي الخامس عشر من اب (اغسطس) اعلم النازيون باراز بانهم ينوون تصفية الغيتو ٠ و « عاد باراز الى الغيتو ولم ينذر احدا بانه لم يبق سوى بضع ساعات للاربعين الف يهودي » الباقين هناك ، كما انه لم يشجعهم على التمرد ٠ ومع هذا افلحت (الكتلة الموحدة المناهضة للفاشية) في تجهيز ٣٠٠ مقاتل بالاسلحة النارية والقنابل اليدوية ، وفي تسليح ٢٠٠ اخرين بكوكتيل مولوتوف وقنابل من صنع البيوت والسكاكين والفؤوس ٠ وكان الكثير من هذه الاسلحة قد هرب الى الغيتو بطرق جريئة جدا ، ولم تكن كافية قط من اجل ثورة واسعة النطاق ، الا ان المقاومة

دامت حتى السادس والعشرين من اب واضطر النازيون الى استخدام المدفعية والطائرات لاخمادها · وقتل نحو ١٠٠ نازي (٥٧) ·

واحد الصهاينة البارزين الاخرين الذين قدموا معونة كبيرة للنازيين في حملة ابادتهم كان حاييم رومكوفسكي ، وهو زعيم للغيتو مصاب بجنون العظمة ، الى احد انه اصدر طوابع بريدية تحمل صورته ليستعملها سكان الغيتو · « عمد رومكوفسكي ، الذي خدم لعقود كرئيس للصهاينة في لودز ، الى تتويج نفسه ، تحت رعاية النازيين ، (ملكا على الغيتو) · وعامل (رعاياه) بقسوة طاغية مجنون ، معززا مراسيم النازيين بمراسيم خاصة به ، ومنظما بدقة نظامية وبلا شفقة جميع رحلات الموت ، ومنصبا نفسه مشرفا على مراسم زواج ابناء الجيل الجديد · كما ان الفريد نوسينغ ، الزعيم الصهيوني المتقدم في السن والصديق الشخصي لهرتسل ، لطخ شيخوخته بالوشايات والتجسس في غيتو وارسو ، وقد خاكمته الحركة السرية وحكمت عليه بالموت ·

اننا نذكر هذه الاسماء لانها امثلة صارخة ، لكن القائمة المشينة نفسها طويلة وتشمل الكثير من المدن والقرى في جميع انحاء بولندا وليتوانيا والمجر ورومانيا » (٥٨) ·

على الرغم من المساعدة التي قدمتها القيادة الصهيونية للجهود النازية لسحق المقاومة اليهودية ، فقد استخدم اليهود المناهضون للعنصرية مهارة فائقة لتزويد انفسهم بالوسائل للدفاع عن انفسهم · وفي احدى المراحل تم تهريب البنادق الى الغيتوات المقاومة في توابيت ذات مخابىء · « ثم لفترة من الوقت كانت الفتيات يأتين بالمسدسات المتدلية بين سيقانهن فيما هن يعدن من المصانع في الخارج » · وفيما بعد ، وبخاصة في وارسو ، «صارت المجارير اهم طريق لادخال الاسلحة الى الغيتو ولخروج الناس» · وفي غيتو دنيبروبتروفسك ، تم تهريب ١٥٠ كيلوغراما من الديناميت الصناعي الى الداخل « مخبأة في جيفة حصان مهترىء » ، وفي فيلنو « حملت راهبات القديسة كاترين القنابل اليدوية والمسدسات الى الغيتو وخبأن مهربي الاسلحة في الدير » · ولكن بالموارد الضئيلة لدى مقاتلي الغيتوات ، فان الاسلحة التي حصلوا عليها « لم تكن كافية ابدا ولا من النوع المطلوب · فلا مدافع رشاشة ثقيلة ولا مدافع هاون ولا الغام ولا اسلحة مضادة للدبابات ولا اصابع غليغنيت ولا متفجرات بلاستيكية » · حتى ان المهارة اليهودية افلحت في الاستيلاء على الاسلحة او صنعها او تهريبها هي واجزائها الى معسكري الموت في تريبلينكا وسوبيبور ، حيث قامت حركات تمرد يائسة (٥٩) ·

بلغت مقاومة الغيتوات ذروتها في وارسو العام ١٩٤٣ · فهناك « تلقت حركة المقاومة اليهودية الدعم ، لا من الشيوعيين الضعفاء عسكريا فحسب ، بل ايضا من ثلاث منظمات مقاومة بولندية صغيرة ولكنها نافذة ومن عدد من الافراد النبلاء الذين لعبوا دورا حاسما في جعل (قيادة الجيش الوطني) يزود (منظمة القتال اليهودية » ببعض الاسلحة » · وارسلت منظمة (حراس الشعب) بعض المسدسات ، علما بانه « يمكن الحكم على مدى ضالة مواردهم من تقرير لقيادة (حراس الشعب لمنطقة وارسو) صادر في السابع والعشرين من كانون اول (ديسمبر) ١٩٤٢ ، وقد عين التقرير كمية الاسلحة التي في حوزتهم بانها ١٣ مسدسا و ١٧ قنبلة يدوية · وقد اشار تقرير في الاول من كانون الثاني (يناير) ١٩٤٣ الى ان الارقام هي ٢٤ مسدسا و ١٨ قنبلة يدوية » (٦٠) ·

عندما ابتدأت العملية المعروفة بالتصفية الكبرى (التي تمت فيها ابادة نحو ٣٠٠ الف يهودي) في وارسو في الثاني والعشرين من تموز (يوليو) ، لم يكن لدى جماعات

المقاومة اليهودية سوى القليل من الاسلحة ، ولذا لم يكن بوسعها القتال · الا ان التصفية الكبرى جعلت الغيتو يسلح نفسه بقدر الامكان ، ويبني ايضا جهاز مخابرات ممتازا · « وكان في مقدور مصادر المخابرات البولندية واليهودية خارج الغيتو ان تكتشف ماذا يحضره الالمان ، لانه كان قد تم تنبيه ، لا قوة الابادة الخاصة فحسب ، بل الحامية الالمانية كلها في وارسو ايضا ، بالاستعداد لانتفاضة عامة ممكنة » (٦١) ·

« يوم الاحد في الثامن عشر من نيسان (ابريل) ١٩٤٣ ، عقد رؤساء الشرطة وقادة الاس اس مؤتمرا تم فيه رسم الخطة بالتفصيل لمهاجمة الغيتو · وفي الثانية بعد الظهر من ذلك اليوم تلقى الاس اس والشرطة الالمانية اوامر تعبئتهم · وتلقت الشرطة البولندية اوامر مماثلة وضربت نطاقا ثقيلا حول الغيتو كله عند حوالي الساعة السادسة بعد الظهر · وبعد ذلك بساعة واحدة ابلغ رؤساء اركان (منظمة القتال اليهودية) و (الرابطة العسكرية اليهودية) باستعدادات العدو » (٦٢) ·

وقام مقاتلو الغيتو بثورتهم في اليوم التالي · ويقول اينشتاين ان تأليف مقاتلي الغيتو كان كما يلي : كان (للاتحاد العسكري اليهودي) التابع للمتمردين نحو ٤٠٠ مقاتل ، و (للمنظمة المقاتلة اليهودية) ـ وهي ائتلاف من الشيوعيين والديمقراطيين الاشتراكيين البولنديين والصهاينة ، الذين لعبت هاشومير هاتسعير ابرز الادوار بينهم ـ ما بين ٦٠٠ و ٢٨٠٠ ، في حين ان الاكثرية ، نحو ٢٠٠٠ ، لم تكن مرتبطة بأية منظمة سياسية وكانت تسمى « الجماعات البرية » · وفي الواقع استمر الاخيرون في القتال لمدة اطول من الجماعات المنظمة سياسيا (٦٣) ·

قاتل مقاومو غيتو وارسو من شارع الى شارع ، ومن منزل الى منزل ، ومن الغرف المحصنة تحت الارض ، ومن الاطلال وحتى المجارير ، وسمروا النازيين في مكانهم لاشهر ، في ما وصف بأنه اكبر واطول عملية مقاومة في اوروبا المحتلة ، باستثناء يوغوسلافيا · وسبب ذلك المئات من الاصابات النازية ، علما بأن الجيش الالماني قصف الغيتو بالمدافع ، وجيء بسلاح الطيران ليقصفه من الجو · وحاول النازيون ان يدمروا حتى الاطلال التي كانت تزود المقاتلين بالغطاء في تموز (يوليو) ، وفي ايلول (سبتمبر) ١٩٤٣ ارسلوا قوات كبيرة « لتنظيف » بقايا الغيتو · ومع هذا فان اخر عمل مقاومة مسجل قامت به احدى جماعات غيتو وارسو ، قتل ثلاثة دركيين المان ، تم في حزيران (يونيو) ١٩٤٤ (٦٤) ·

وبالاضافة الى النازيين كان على مقاومي الغيتو ان يقاتلوا خائنا خطرا جدا ، هو ابراهام غانكفايش ، الذي كان احد قادة هاشومير هاتسعير (وهي جماعة صهيونية يسارية تسمى الان حزب مابام) في زيستوتشوا · ففي وارسو في ربيع ١٩٤٠ « القى خطابا قال فيه ان النظام النازي الجديد قد جاء ليبقى ، وان على اليهود ان يكيفوا انفسهم له ··· وبمساعدة الغستابو جمع عددا من المتعاونين من بين اعضاء عائلته واصدقائه ومعارفه ·· وسمح له النازيون بأن يقيم « قوة شرطة » من ٣٠٠ رجل خاصة به « كانت تقوم بأعمال سفاحي الغانغسترز الاميركيين ، وبمساعدتهم اجبر غانكفايش جميع رجال الاعمال المهمين في الغيتو ، بصرف النظر عما اذا كانوا نزيهين او غير نزيهين ، ان يدفعوا له اموال الخوة ، التي تقاسمها مع ارباب في الغستابو · كان العامل الاهم هو فائدة غانكفايش ومافياه كوكالة للتجسس والتخريب ـ وباختصار كطابور خامس كلاسيكي ··· وقام حاخامان ينتميان الى حزب اغوداث يسرائيل ، هما بلومنفيلد وغليسنشتاين ، بالدعاوة له بين العناصر الحاسيدية وتأكدا من ان افكار المقاومة لن

تضرب جذورها في المدارس والكليات الدينية » · واقـام غانكفايش « خدمة سـيارات اسعاف » ساعدت في جمع الضحايا النازيين ، كما انه كل يوم ثلاثاء كان يسلم تقريـر مخابرات « تباهى بأن الغستابو كان ينتظره بفارغ الصبر ، لانه اعتبره التقرير الوحيـد الموثوق به لما يجري في الغيتو » · وساعد حزب اغودات يسرائيل ، وهو الان احـد الاحزاب السياسية المعتبرة في اسرائيل ، النازيين في قمع المقاومة « بأن قال لاتباعه الكثر ان الغيتو ليس عقاب الله على هجر اليهود للارثوذكسية والالحاد فحسب ، بل انه بركـة مموهة تهدف الى اعادة اليهود الى حالة التقوى » (٦٥) · وانه لانجاز باهـر ان يكـون مقاتلو الغيتو استطاعوا ان ينظموا المقاومة على الرغم من هؤلاء المتعاونين ·

قبيل موت زعيم (منظمة القتال اليهودية) موردخاي انيليفتش في المعركة في الغيتو، كتب الى خليفته يقول : « مدركين ان يومنا الاخير قد دنا ، اننا نطلب منك ان تتذكر كيف خانونا · وسيأتي يوم دفع الثمن لدمنا البريء المسفوك · ارسل المساعدة الى هؤلاء الذين قد ينجون من ايدي الاعداء في المعركة الاخيرة ، لكي يتمكنوا من مواصلة القتال » (٦٦) · ومع انه لا يسمي بالتحديد من هو الذي خان يهود غيتو وارسو ، فمن المتع الملاحظة ان انيليفتش كان الاستثناء النادر الذي يثبت القاعدة ، من حيث انه كان صهيونيا ، مـن نفس منظمة هاشومير هاتسعير التي كان غانكفايش ينتمي اليها ·

(للبحث صلة)

نقل النص الى العربية رجا جورج

الحواشي

(1) Theodor Herzl, *The Jewish State* (New York, 1946) p. 92.

(2) Hannah Arendt, *The Jewish State. 50 Years After — Where Have Herzl's Politics Led ?* (article in Commentary, Vol. I, No. 7, May 1946).

(3) Moshe Menuhin, *The Decadence of Judaism in Our Time* (Institute for Palestine Studies reprint, Beirut, 1969) pp. 46-47.

(4) Quoted by Reuben Ainsztein, *Jewish Resistance in Nazi-Occupied Eastern Europe* (London, 1974) p. 151.

(5) Report of Royal Commission on Alien Immigration, 1902-1903 (Cmnd. 1741 & 1742).

(6) Jewish Chronicle, 23 December 1904.

(7) Hansard, 10 July 1905, Vol. 149, Col. 154-155.

(8) Theodor Herzl , *Diaries* (Marvin Lowenthal's translation , New-York, 1956) p. 7.

(9) Chaim Weizmann, *Trial and Error* (New York, 1949) p. 243.

(10) Memorandum on the Anti-Semitism of the Present Government, 23 August 1917.

(11) Oscar Janowsky, *People at Bay* (London, 1938) pp. 126-127.

(12) J.W. Wise , *Swastika , the Nazi Terror* (New York , 1933) pp. 59-60

(13) *Ibid.*, pp. 104-107.

(14) Report dated 25 April 1933, from Innsbruck.

(15) Norman Bentwich, *The Refugees from Germany* (London, 1936) p. 30.

(16) Hannah Arendt, *Eichmann in Jerusalem* (New York, 1963) pp. 53-54.

(17) *Ibid.*, pp. 54-55.

(18) Wise, op. cit., p. 45.

(19) Eliahu Ben Elissar, *La Diplomatie du IIIe Reich et les Juifs* (Julliard, place of publication not stated, 1969) pp. 86-87.

(20) Raul Hilberg, *The Destruction of the European Jews* (London, 1961) p. 95.

(21) Ben Elissar, op. cit., pp. 90-94.

(22) Israel Cohen, *Contemporary Jewry* (London, 1950) p. 186.

(23) Arendt, op. cit., p. 55.

(24) Letter from Blumenfeld, for Zionist Ferderation, to Nazi official Bulow-Schwante, 11 June 1934.

(25) Ben Elissar, op. cit., pp. 185-186.

(26) Gerald Reitlinger, *The Final Solution* (New York, 1961) p. 7.

(27) Ben Elissar, op. cit., pp. 186-187.

(28) Janowsky, op. cit., pp. 90-91.

(29) Ben Elissar, op. cit., p. 204.

(30) Ibid., p. 219.

(31) Oscar Janowsky and Melvin Fagen, *International Aspects of German Racial Policies* (New York, 1937)pp. 49-50.

(32) Bentwich, op. cit., pp. 142-143.

(33) Ben Elissar, op. cit., pp. 423-424.

(34) Jon & David Kimche , *The Secret Roads* (London , 1954) pp. 15-16.

(35) *Ibid.*, pp. 17-19.

(36) *Ibid.*, p. 30.

(37) Arendt, op. cit., p. 39.

(38) *Ibid.*, p. 41.

(39) Kimche, op. cit., pp. 27 , 30-31.

(40) *Ibid.*, p. 217.

(41) *Ibid.*, pp. 33-35.

(42) *Ibid.*, p. 217.

(43) *6,000,000 Accusers* , opening address in Adolf Eichman trial , Sessions 6-8.

(44) Shlomo Katz, *6,000,000 and 5,000,000* (article in ***Midstream***, No. 1, 1964).

(45) Ainsztein, op. cit., pp. 408, 442, 468, 634-638.

(46) Letter from Mordechai Anielewicz to Polish Home Army Command and Government Delegate's office, 13 March 1943.

(47) Ainsztein, op. cit., p. 486.

(48) Joseph Tenenbaum, *Underground, the Story of a People* (New York,1952) pp. 81-82.

(49) *Ibid.*, pp. 347-348.

(50) Appeal by Itzik Witenberg and Abba Kovner to Vilno ghetto inhabitants, 1 January 1942.

(51) Ainsztein, op. cit., pp. 505-507.

(52) Tenenbaum, op. cit., pp. 344-345.

(53) *Ibid.*, pp. 353-354.

(54) Reb Moche Shonfeld , *The Holocaust Victims Accuse* , Part 1, (Neturei Karta of USA, New York, 1977) pp. 30-33.

(55) Yuri Suhl, *They Fought Back* (London, 1968) p. 191.

(56) Shonfeld, op. cit., pp. 88, 119-121.

(57) Ainsztein, op. cit., pp. 521-547.

(58) Shonfeld, op. cit., pp. 22-23.

(59) Michael Elins, *Forged in Fury* (New York, 1971) pp. 62, 64-65.

(60) Ainsztein, op. cit., pp. 565-599.

(61) *Ibid.*, p. 620.

(62) Shul, op. cit., p. 622.

(63) Ainsztein, op. cit., p. 622.

(64) *Ibid.*, pp. 591-671; see also Chaim A,Kaplan, *Scrol of Agony (A Warsaw Diary)*, translated & edited by Abraham I. Katsch (London, 1966) and Martin Gray, *Au Nom de les Miens* (Paris, 1971) for accounts by ghetto inhabitants.

(65) Ainsztein, op. cit., pp. 556-561.